أوراق القضيّة 805

مقتل الأنبا إبيفانيوس

سارة علّام

الطبعة 2

دار العين للنشر

أوراق القضية 805

مقتل الأنبا إبيفانيوس

أوراق القضيـة 805

مقتل الأنبا إبيفانيوس

سارة علام

الطبعة الثانية / ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر
٤ ممر بهلر - قصر النيل - القاهرة
تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦
E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار
أ.د. أحمد شوقي
أ. خالد فهمي
أ.د. فتح الله الشيخ
أ.د. فيصل يونس
أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي
المدير العام
د. فاطمة البودي

الغلاف إهداء: حسن الطوجي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٨/٢٥٣٠٤
I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 534 - 6

أوراق القضية 805

مقتل الأنبا إبيفانيوس

سارة علام

دار العين للنشر

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

علام، سارة

أوراق القضية ٨٠٥: مقتل الأنبا إبيفانيوس/ سارة علام.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٩

ص؛ سم.

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٠ ٥٣٤ ٦

١- الأوراق القضائية

٢- الجريمة والمجرمون

٣- جرائم ضد الإنسانية

أ- العنوان

٣٤٧,٠٦

رقم الإيداع/ ٢٥٣٠٤/ ٢٠١٨

إلى روح خالي

راني مصطفى الشويخ

الوردة التي قطفها الموت من مزهرية العائلة

كلام لابد من ذكره

تبدو الكتابة عن قضية مقتل الأنبا إبيفانيوس أسـقف ورئيس دير أبو مقار، كمحاولة السـير في حقل ألغام، كلما مشـيت خطوة تعثرت قدمك في لغم.

القضية التي هزت الرأي العام المصري، لم تكن مجرد مقتل أسقف بين أسوار ديره، بل إن أبعادها التاريخية وتشابكاتها وتعقيداتها تجعل منها لغزًا قد يستمر طويلًا، وقد تعاني منه الكنيسة القبطية المعاصرة سنوات قادمة.

الحادث الذي يبدو وكأنـه جريمة قتل عادية، جاء بالتزامن مع حلقة مستمرة من التآمر على البابا تواضروس بطريرك الكنيسة القبطية، تتبعها انقسامات داخلية في الكنيسة الأقدم بالشرق الأوسط، مصحوبة بصراعات على السـلطة أحيانًا والمال أحيانًا والعقيدة أحيانًا أخرى، غير أن كل تلك

الصراعات التي يعرفها القريبون من الكنيسة قد سقطت عنها ورقة التوت بمقتل الأسقف المستنير الأنبا إبيفانيوس تلميذ القمص متى المسكين.

كصحفية متخصصة في شئون الكنيسة، أتيح لي طوال السنوات الأربع الفائتة الاقتراب من هذا الصراع بصورة دقيقة، كتبت مئات القصص الصحفية التي نشرت في صحيفتي "اليوم السابع"، وسافرت طول البلاد شمالها وجنوبها لأجري مقابلات وأغطي أحداث، حاولت أن أتخلص من أي أفكار مسبقة أو آراء قديمة، وأن أشكل رؤية تخصني، ساعدني في ذلك تحرري من السلطة الكهنوتية الكنسية بالشكل الذي حيّد نظرتي للأمور دون انحيازات عاطفية.

ورغم أن غالبية ما جاء في هذا الكتاب قد سبق نشره بجريدة اليوم السابع إلا أننا نحاول أن يحيط القارئ بالصورة الكاملة لما يجرى في كنيسة مارمرقس العتيقة منذ مجئ البابا تواضروس للكرسي المرقسي رغمًا عن رغبة كثيرين وحتى تلك الليلة التي أوقظوه فيها على مقتل صديقه ومستشاره الأقرب الأنبا إبيفانيوس مرورًا بما جاء بعد تلك الحادثة من تداعيات.

وفي فصل بعنوان من دفتر الدم والرماد، رصدت مشاهداتي عن أيام الدم والتفجيرات في الكنائس وهي مشاهدات لم تسجلها الصحافة وربما لم ترصدها عدسات الفضائيات ولكنني اخترت أن أسجلها في هذا الكتاب للتاريخ، وكوردة فوق قبور هؤلاء الضحايا.

قد يتساءل القارئ عن الذي يدفع صحفية مسلمة للكتابة في شئون الكنيسة، وهو السؤال الذي واجهته طوال رحلتي الصحفية في السنوات

الفائتـة، ولم تكن لدي إلا إجابة واحدة وهـي أن الصحفي لا دين له؛ إذ أن انحيازه الأول والأخير للحقيقة لا لشـئ آخر، وإن كانت الكنيسة قد اسـتهوتني ودخلت في أجندة اهتماماتي منذ بداية عملي في الصحافة، فلم يكن ذلك بعيدًا عن تكويني ونشأتي في مجتمع مسيحي في صعيد مصر، وهو اهتمام عضدته بالدراسة والبحث والقراءة في التاريخ الكنسي واللاهوت والعقيدة، وكانت الرحلة أشـبه بالسـير في الصحراء، كلما ظننت إنك قد اقتربت من الوصول لاحت لك جبال أكثر عليك العبور من بينها لتصل، ولكنني أدين لتلك الرحلة بالكثير، فقد علمتني قيمة الفهم وثمن العلم، ودفعتني للتخلي عن الكثير من عاداتي الشخصية السيئة كالتسرع للحاق بمطابع الصحف.

الحقيقة في الملف القبطي تحتاج إلى تأن وإلى الكثير من القراءة والبحث والصـبر والتحليل، وهي عمل تراكمي لا يأتي الكاتبَ بين يوم وليلة إنما قد يسـتغرق عمرًا بأكمله، إلا أن تلك التجربة الصحفية على صعوبتها لم تخلُ من المتعة، متعة الكشف عن جوانب خفية، متعة الرؤية بغية الوصول، متعة يتداخل فيها السـياسي والتاريخي والديني والاجتماعي بشكل يجعل الصحفي أقرب من أي وقت مضى لما يدور في مجتمعه وهو يرى من زاوية نظر قد لا تتاح لغيره.

لله در الكنيسة التي فتحت أبوابها ولم تبخل علينا بالكشف

ولله در الصحافة.. مدرسة الفهم والكتابة والحياة

سارة علام

كنيسة ما بعد البابا شنودة

لا يمكن اعتبار البابا شـنودة الثالث البابا رقم 117 للكنيسـة القبطية مجرد رقم في تعداد باباوات الكنيسـة العريقة، بل إن الأمر أعقد من ذلك وأكبر من ذلك بكثير، فقد شـكل البابا شـنودة حائطًا للكنيسة لا يمكن لمن يأتي بعده سـوى أن يبني عليه سـائرًا على نفس الخطى ونفس الطرق ونفـس الأفكار، أما من أراد الاختلاف وتكوين مدرسـته الخاصة فعليه أن يزحزح الحائط، أو يعبر من خلاله أو يجد طريقة لهدمه.

البابا الراحل شـكل وطوال أربعين عامًا جلس فيها على سـدة كرسي مارمرقس مصدرًا وخيدًا لكل شيء، فقد كان هو مصدر السلطة الكنسية، وهـو أيضا مصـدر العقيدة واللاهوت ومصـدر التشريع حتى أن بعض الأقباط يخلطون ما بين تفاسيره للإنجيل وما بين ما جاء في الإنجيل فعلا، ما أتى به البابا شنودة من الدين وما لم يأتِه ليس من الأرثوذكسية في شيء، وهكذا ظلت تشريعاته وقوانينه وأحكامه قابضة وحاكمة ومسيطرة بتلك الكاريزما الهائلة التي امتلكها فسلب بها العقول والقلوب، وروح الزعامة

التي استمدها من خلافه التاريخي مع الرئيس السادات والذي استلزم عزله وتحديد إقامته في دير الأنبا بيشوي خمس سنوات، وكذلك من أستاذيته كمعلم للاهوت الكنسي وأسقف للتعليم قبل أن يكون بابا للكنيسة، ولخبرته وتمرسه في اللغة والشعر والكلام إذ كان صحفيًا وشاعرًا قبل أن يجد ضالته في الرهبنة، كل تلك السمات الشخصية والظروف التاريخية جعلت من كنيسة ما بعد البابا شنودة أمرًا محيرًا.

سيموت البابا شنودة في مارس 2012 في لحظة نادرة في التاريخ يتغير فيها كل شيء في مصر، تعيش مصر مرحلة انتقالية بعد ثورة يناير وتعيش الكنيسة أيضا انتقالها الجديد من عصر البابا شنودة لعصر آخر لم يكن معلوم المعالم وقتها.

يموت البابا وتُفتح شهية الأساقفة على الصراع في الانتخابات البابوية، وتظهر تكتلات ومراكز قوى كانت قد تشكلت في السنوات الأخيرة من مرضه إذ كانت الأمور تُدار عبر عدد محدود من الأساقفة ممن أولاهم البابا السلطة ومنحهم النفوذ.

ووفقًا للعرف الكنسي، تدار الكنيسة بواسطة القائممقام، أكبر الأساقفة سنًا أو من يستقر المجمع المقدس على اختياره لتلك المهمة، وقد كان اسم الأنبا ميخائيل مطران أسيوط مطروحًا بقوة لتولي تلك المهمة الانتقالية، باعتباره أكبر الأساقفة سنًا وأقدمهم على مقعده، وبحسب تاريخ الأنبا ميخائيل الذي رسم أسقفًا منذ عصر البابا يوساب الثاني والملقب بـ"عميد أساقفة الصعيد" إلا أن اعتذار الرجل عن تلك المهمة ذهب بها للأنبا

باخوميوس مطران البحيرة والخمسة مدن الغربية.

الأنبا ميخائيل الذي كان رئيسًا لدير الأنبا مقار إلى جانب توليه أمر إيبراشية أسيوط، عاصر أربعة باباوات: البابا يوساب الثاني والبابا كيرلس السادس والبابا شنودة الثالث، ولكنه لم يبرح إيبراشيته في أسيوط منذ عشرات السنين، لم تستهوِه رحلات العلاج في الخارج كما يفعل كبار الأساقفة ولم يشغله عن أمر خدمته شيء آخر.

جاء الأنبا باخوميوس في منصب القائممقام وقد كان الرجل يتمتع بقبول كبير لدى كبار أساقفة المقر الباباوي الذين يديرون الصراع في مرحلة ما بعد البابا فلم يكن محسوبًا على أي من الفرق المتصارعة إلى جانب ما عرف عنه من حكمة وتدبير إداري إذ كان البابا شنودة يوكل إليه مهام خاصة تتعلق بالإدارة التي برع فيها.

في تلك الآونة بدأت تتردد أسماء المرشحين لخلافة البابا شنودة، وقد كانت الترشيحات مقتصرة على ما اصطلح على تسميته "الخمسة الكبار"، في مقدمتهم الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس مطران كفر الشيخ ودمياط ورئيس دير القديسة دميانة الرجل الحديدي للكنيسة، والتلميذ النجيب للبابا شنودة، والأنبا يؤانس سكرتير البابا والأسقف العام المقرب من البابا شنودة أيضا، والأنبا موسى أسقف الشباب الملقب بحبيب الشباب، واثنين من الرهبان أحدهما من دير أبومقار والآخر من دير مارمينا غير معروفين لعموم الشعب القبطي.

بعد تعيين القائم مقام عملت الكنيسة على اختيار لجنة معاونة لإدارة

شئون الكنيسة من أعضاء المجمع تختص بإعلان موعد الانتخابات، وتلقي أوراق المرشحين، مع تشكيل لجنة لفحص الطعون دون أن تتدخل اللجنة أو قائمقام البطريرك في رسامة أساقفة جدد.

فتحت اللجنة المشرفة على الانتخابات الباب أمام تلقي ترشيحات الأساقفة على مقعد البطريرك خلال أربعين يومًا من رحيل البابا، مشترطة أن يكون الراهب قد أمضى 15 سنة في الرهبنة في حين لا يقل سنه عن أربعين عاما.

بعدها تقوم اللجنة بفحص الأوراق واستبعاد المطعون في أحقيتهم، وتصفية المرشحين إلى سبعة أساقفة أو خمسة تجرى الانتخابات بينهم من قبل الجمعية العمومية التي تضم الأساقفة ووكلاء المطرانيات وأعضاء مجلس الشعب السابقين والحاليين، والوزراء، وصحفيي الجرائد اليومية من الأقباط، يُصعّد من بينهم ثلاثة حاصلين على أعلى الأصوات، ثم الإجراء النهائي وهو القرعة الهيكلية.

تمضي أيام الترشيحات على الانتخابات المنافسة على الكرسي البابوي بعيدة تماما عن الأسماء المطروحة إعلاميًا، ويكشف عن ذلك بعمق إعلان اللجان المشرفة على الانتخابات البابوية، ويتم استبعاد الاثنان الكبار الأنبا بيشوي الرجل الحديدي والأنبا يؤانس سكرتير البابا شنودة، وكذلك الأنبا موسى الذي لم يترشح بسبب ظروفه الصحية.

وقف الأنبا باخوميوس أمام المقر الباباوى بدير الأنبا بيشوي يعلن للصحفيين أسماء الخمسة المرشحين بالقائمة النهائية للانتخابات الباباوية

وقال بالترتيب الأبجـدى "- إن القائمة تضمنت كلا من "الأنبا رافائيل أسقف وسط القاهرة، الأنبا تواضروس أسقف البحيرة، القمص رافائيل أفامينـا من دير مارمينا، باخوميوس السرياني من دير السريان، سـيرافيم السريـاني من دير السريان"، وأكد وقتها أن الاختيار جاء وفقا لـ"دراسـة أوضاع المرشحين، واستطلاع رأي الشارع القبطي، بجانب الصوم والصلاة التي دعت لها لجنة الترشيحات".

تُجرى الانتخابات ويحصد الأنبا رافائيل أسقف كنائس وسط القاهرة أعلى الأصوات إذ يحصل على الأنبـا رافائيل على (1980صوتا) وقد كان أصغر المتقدمين للقرعة الهيكلية سـنًا فهو مـن مواليد 6 مايو 1958 وكان عمره وقتها 54 عامًا وهو ابن حي شبرا واسمه بالميلاد ميشيل عريان حكيم قبل الرهبنة، وحصل عـلى بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة عين شمس عام 1982، وبكالوريوس الكلية الإكليريكية عام 1984 وعمل طبيبًا قبل أن يذهب إلى دير البراموس ليبدأ مشواره مع الرهبنة عام 1990 باسم الراهب يسطس، ثم رسم أسقفًا باسم رافائيل في 15 يونيو1997 لكنائس وسط القاهرة.

أما الأنبا تواضروس أسـقف عام البحيرة، الذي جاء في المرتبة الثانية في الانتخابات البابوية فهـو حاصل على 1623صوتا، وقد حل في المرتبة الثانية في الانتخابات مثلما حدث مع البابا شنودة أيام انتخابه وتجري القرعة الهيكلية يوم ميلاده.

يُعـرف عن الأنبا تواضروس إنه تتلمذ على يد الأنبا باخوميوس قائم

مقام البطريرك ومطران البحيرة، سبق ذلك تاريخ من العلاقة الأبوية بين الرجلين حيث كان البابا تواضروس طالبًا في الثانوية حين تمت رسامة (تعيين) الأنبا باخوميوس أسقفا للبحيرة، وظلت تلك العلاقة قائمة طوال سنوات رهبنة البابا تواضروس بدير الأنبا بيشوي وحتى استدعائه للخدمة في البحيرة مساعدًا لأستاذه الأنبا باخوميوس المطران الكبير.

أما بالنسبة للقمص رافائيل أفامينا فقد جاء في المرتبة الثالثة بـ1530 صوتا يبلغ من العمر (70عامًا)، فهو من مواليد 1942، وحمل القمص رافائيل أفامينا قبل الرهبنة اسم روفائيل صبحي توفيق، وهو أيضا من مواليد شبرا وروض الفرج وحصل على ليسانس حقوق جامعة عين شمس سنة 1964 ثم دخل عالم الرهبنة في دير مارمينا عام 1969 واستمرت خدمته فيه مع البابا كيرلس السادس طوال حياته ومازال مستمرًا في الدير حتي الآن.

في الرابع من نوفمبر عام 2012، تتجه أنظار العالم كله للكنيسة التي تجري القرعة الهيكلية على اختيار البابا رقم 118، ليجمع البابا بين اختيار الأرض وهو الانتخابات واختيار السماء وهو القرعة، ويتقدم طفل صغير ليختار من بين الأسماء المغلقة أمامه، ثم يفتح الأنبا باخوميوس الورقة ويظهر فيها اسم الأنبا تواضروس البابا رقم 118، ومنذ هذا اليوم سيتغير الكثير في الكنيسة ولن يعود أي شيء إلى سابق عهده.

من الصفوف الخلفية إلى سدة الحكم

لم يكن الصيدلي الشـاب "وجيه صبحي" الذي ترك الدنيا لأجل حياة التقشف والرهبنة، يعلم أن ذهابه لدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون عام 1986 سينتهى به إلى اعتلاء سدة كرسى بطريرك الكنيسة القبطية الـ118.

تربى "وجيه" تربية مسيحية، ونشأ في أحضان كنيسته التي كان يشغل فيها منصب أمين الخدمة إلى جوار غيره من الشـباب، إلا أن لقاءه بالأنبا باخوميوس أسقف البحيرة في عمره المبكر غير حياته، ودفعه نحو الرهبنة التي تعلق بها قلبه، فترهبن رسميًا في 4 نوفمبر عام 1988.

في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون، الذي قضى فيه الأخ وجيه عامين بجلباب أزرق قبل أن تتم رهبنته رسميًا، سيعيش حياة النساك في الصحراء بعدما تُصلى عليـه صـلاة الموتى، فالرهبنة موت عن العالم، وحياة أخرى

مع الله، يتغير فيها اسـمه ويتجرد من كل ما يملك فيودع وجيه الصيدلي، ويصير الراهب "ثيؤدور"، الذي ينال رتبة القسيسية بعد عام من رسامته (تعيينه) راهبًا.

ينتقـل القس ثيؤدور للخدمة في محافظة البحيرة إلى جوار أبيه ومعلمه الأنبا باخوميوس مطران البحيرة والخمسـة مـدن الغربية، ويتولى القس الشاب مسئولية الخدمة في كنيسة كنج مريوط التي زارها وألقى فيها عظته الأسـبوعية وكأنه يستعيد ذكريات خدمته كقس، ويعود إليها محاطًا بزفة الشمامسـة وبلحن "أبؤورو" الذي يصاحب البابـا البطريرك عند دخوله الكنيسة.

سبعة سنوات يقضيها القس ثيؤدور في الخدمة بتلك الكنيسة، ثم يأتي العام 1997 الذي ينال فيه درجة أعلى، فيصير أسـقفًا عامًا، ويتغير اسـمه إلى الأنبـا تـواضروس أو عطية الله ويصبح مسـاعدًا للأنبـا باخوميوس بإيبراشـية البحيرة التي نشأ وتربى في كنائسـها صغيرًا وعاد إليها بعمامة الأسـاقفة الكبـيرة يتفقد أحوال رعيتها، يصلي لهـم لينالوا البركة، ويدير شـئون القساوسـة بمهاراته الكبيرة في علم الإدارة التي حصل فيها على الماجستير من لندن.

لم يكن الأنبا تواضروس الأسقف المساعد بالبحيرة، يتخيل أنه يقترب من كرسي مارمرقس، ولم يطرح اسمه ضمن بورصة المرشحين وهكذا وجد البابا تواضروس نفسه على سدة كرسي مارمرقس، قادمًا من الصفوف الخلفية

للكنيسة، البعيدة عن مركزية العاصمة وصخب وسائل الإعلام فقد كان يخدم إلى جوار معلمه وأستاذه الأنبا باخوميوس مطران البحيرة والخمس مدن الغربية، هناك في تلك الصحراء الواقعة بين البحيرة والإسكندرية في منطقة لا يتعدى سكانها الأقباط الخمسة آلاف نسمة، لا يحظى بشعبية وعاظ الكنيسة المشاهير، ولا رجالها الأشداء ممن أداروا المقر البابوي إلى جوار البابا شنودة فكانوا ملء السمع والبصر، هؤلاء الذين لن يمرروا وصول البابا تواضروس للكرسي بسهولة وسيشكلون على الدوام أحجار عثرة في طريقه.

سيتسلم البابا الكنيسة في ظروف صعبة واستثنائية، وبعد أقل من عام من وصوله إلى كرسيه، ستدخل البلاد عام حكم الإخوان وسيجد البابا نفسه في مشهد استثنائي، يحاول استيعاب ما يجرى في الكنيسة من ناحية، فيباغته المجال العام بتغيرات أخرى، ليجد نفسه حائرًا ما بين داخل الكنيسة وداخل مصر، ثم يبدأ البابا رحلته مع لعبة الشطرنج رويدًا.

سيأتي على الكنيسة يوم، تجد نفسها مدفوعة بالمشاركة في خارطة الطريق يوم الثالث من يوليو عام 2013 وسيقف البابا إلى جوار شيخ الأزهر والقوى الوطنية في هذا المشهد الذي لن ينساه التاريخ وسيشارك الأقباط بكثافة في مظاهرات 30 يونيو وهم يؤمنون أنها معركة وجود، إما أن تنجلي غمة الحكم الديني وإما أن تُقصف شوكتهم في مصر إلى الأبد وقد كان لهم وللكثير من المصريين ما أرادوا.

سـيبكي البابا كثـيرًا حين تحترق الكاتدرائية وسـيدعو الله أن يتدخل لأجل تلك الكنائس التي أُحرقت عقب فض اعتصام رابعة العدوية حيث بلغ عددها ما يزيد عن 67 كنيسـة ومبنى خدمات في تسـع محافظات، إلا أن علاقته الجيدة بالدولة وقناعة الدولة الجديدة بتحسين أوضاع الأقباط فيها سـتجعل ترميم الكنائس أمرًا سـهلًا يتبناه الجيش فتصبح الكنائس أجمل مما كانت قبل الحريق.

رجال الكنيسة على رقعة شطرنج البابا تواضروس

سيبدأ البابا لعبة الشطرنج، سيعمل على تغيير مراكز القوى التي ورثها عن البابا شنودة ليأتي برجاله المخلصين كحرس جديد يدير الكنيسة معه، إلا أن عملية الانتقال تلك ستكلف البابا الكثير من المؤامرات والأحقاد والضغائن.

لا تتيح القوانين الكنسـية للبابا الكثير من الحركة، فالأسقف متزوج من إيبراشـيته لا يبرحها حتـى وفاته، كل ما يسـتطيع البابا فعله أن يعيد تقسيم الإيبراشيات فيقتطع من سلطة أسقف ويمنحها لآخر محل ثقة أو أكثر شبابًا خاصة وأن متوسط عمر الأساقفة هو 70 عامًا بينهم من يعاني أمراضًا لا تجعله يبرح مقعده ولا يحق للبابا عزله.

يستطيع البابا أيضا أن يحرك الأساقفة العموم، الأساقفة نوعان أسقف

عام، وأسـقف مُجلس على إيبراشية، الأسقف العام حر الحركة يقدر البابا على ندبه هنا أو نقله هناك، أما أسقف الإيبراشية فهو متزوج منها لا يتركها إلا جسدًا خاليًا من الروح، ويُدفن أيضًا فيها.

سـيأتي الأنبا رافائيل الذي سبق البابا في الانتخابات البابوية وحصد أصواتًا تفوقه، في منصب سـكرتير المجمع المقدس بعد سـنوات قضاها الرجـل الحديدي الأنبا بيشـوي فوق هذا الكـرسي أدار من خلالها لجنة المحاكمات الكنسية وقد كان مجرد ذكر اسمه يرهب الأساقفة والقساوسة بعدما أحال كثيرين للجان المحاكمة، عزل كهنة وأعاد أساقفة لأديرتهم، إلا أن لحظة التغيير تلك لا تتطلب وجوده، سـيعود الرجل الحديدي إلى إيبراشيته وديره يكمل دروسه اللاهوتية كأشهر واعظي الكنيسة وأكثرهم تشددًا أيضا، وسيبتعد عن الأضواء ربما حتى وفاته.

في ديسمبر عام 2013، أي بعدما يقرب من عام واحد على جلوسه على الكرسي، قرر البابا تواضروس أن يبدأ في بناء فريقه، فاختار اثنين من رجاله المخلصين، الأنبا يوليوس أسقفًا لمنطقة مصر القديمة وهي إيبراشية جديدة عمل على اقتطاعها، والأنبا دانيال أسقفًا للمعادي حيث كان الأخير يخدم فيها كأسقف عام وعمل البابا على تجليسه على تلك الإيبراشية.

أما الأنبا يؤانس الذي كان يحتل منصبين، سكرتير البابا شنودة وأسقف الخدمات العامة والاجتماعية وهي الأسقفية المختصة بخدمة الفقراء، فهو ولحظَّ البابا تواضروس السـعيد أسقف عام وليس مُجلسًا أي يمكن نقله

وندبه، وقد غادر الأنبا ميخائيل أسقف أسيوط في الـ23 من نوفمبر عام 2014 وصعدت روحه إلى بارئها، فما كان من البابا تواضروس إلا أن عرض تلك الإيبراشية الهامة على الأنبا يؤانس الذي كان يشرف عليها بالفعل أيام مرض الأنبا ميخائيل.

إيبراشية أسيوط ذات تعداد الأقباط الكبير، تضم دير السيدة العذراء بدرنكة مصدر التبرعات ربما الأكبر في صعيد مصر، إيبراشية ذائعة الصيت ذات مال ونفوذ، سيتزوجها الأنبا يؤانس ويبعد عن الكاتدرائية إلى وسط الصعيد هناك.

ثم يولِّي البابا تواضروس الأنبا يوليوس أمر أسقفية الخدمات محل الأنبا يؤانس، ويولي الأنبا دانيال منصب النائب الباباوي في القاهرة ليحل محله إذا سافر أو تعب ويصير الاثنان "دانيال ويوليوس" كظل البابا لا يفترقان، ويصبحان مع الوقت من علامات عصره الجديد.

يتبقى أمام البابا حجر عثرة وحيد، لا يستطيع أن يحركه ولا أن ينتقص من سلطاته، ويظل هكذا حتى اليوم، الأنبا إرميا سكرتير البابا شنودة ورئيس المركز الثقافي القبطي، ورغم أن الأنبا إرميا أيضًا أسقف عام كزميله يؤانس إلا أن صلابة إرميا وقوة علاقاته وتجذرها تحول دون نقله.

يسيطر إرميا على إمبراطورية كاملة داخل الكاتدرائية هي المركز الثقافي القبطي، وهو مبنى ضخم يضم متحفًا لمقتنيات البابا شنودة ومكتبة ومركزًا

للغات، والأهم من كل ذلك قناة مارمرقس التابعة للكنيسة التي يرأسها الأسقف، وتظل العلاقة بين الأنبا إرميا والبابا تواضروس تتسم بالعداء المكتوم الذي لا ترصده عدسات الإعلام ولكن يعرفه كل المقربين من الكاتدرائية، حتى أن إرميا وعلاقاته المتشابكة ستصبح كأحد أدوات الصراع الذي ستدخله الكنيسة منذ تلك الأيام.

وفي العام 2013، يعرف الإعلام لأول مرة اسم الأنبا إبيفانيوس، أسقف ورئيس دير أبو مقار الجديد، كل ما سيُعرف عنه وقتها أنه الرجل الذي انتخبه رهبان دير أبو مقار رئيسًا لهم، وأول رئيس للدير بعد وفاة القمص متى المسكين عام 2009 وبعد اعتذار الأنبا ميخائيل مطران أسيوط عن الاستمرار في إدارة هذا الدير الأزمة، وستقول الكنيسة وقتها أن الرجل حصد غالبية أصوات زملائه الرهبان دون أن توضح أنه حصد أصوات رهبان تياره فقط بعدما امتنع الآخرون.

من بين رجال البابا أيضًا، يبرز اسم الأنبا بافلي شاب أربعيني نشيط كان يخدم ككاهن متبتل في شرم الشيخ، ثم يدخل دير الأنبا موسى بجنوب سيناء عام 2011 ويصبح أول راهب يدخل الدير بعد الاعتراف الكنسي به.

يعرف البابا تواضروس بهذا النشاط الواسع للقس بافلي الذي اشتهر بقدرته على الوعظ وشبابية خطابه وتجدده فيستعين به عام 2014 كأسقف لعزبة النخل وهي إيبراشية جديدة استحدثها البابا تواضروس أيضًا، ثم يقرر البابا انتدابه كنائب له في الإسكندرية وأحد أول الأساقفة الذين

يخدمون في "مدينة الرب" التي تخضع لسلطة البابا شخصيًا باعتباره بابا للإسكندرية إذ تحتل مكانة بارزة في التاريخ القبطي باعتبارها أول مدينة بشّر فيها مارمرقس بالمسيحية في مصر.

وهكذا يستمر البابا تواضروس في تشكيل فريقه الجديد ممن يرى فيهم ما يمثل توجهاته الانفتاحية ورؤيته في العلاقة مع الكنائس الأخرى التي كانت أكثر انغلاقًا في عصر البابا شنودة واتسمت بالانفتاح في عصر البابا تواضروس.

تشكُّل الجماعات المناهضة للبابا

إزاء حركة التغييرات الكبرى التي قادها البابا تواضروس في الكنيسة من خلال تصعيد أساقفة وإقصاء آخرين عن مواقع كنسية كانوا يحتلونها طوال عصر البابا شـنودة الثالث، ظهرت على السطح حركات المعارضة الكنسـية والتي بدأت أولى إرهاصاتها مع أزمة الأحوال الشخصية وهي الأزمة التي ورثها البابا تواضروس عن البابا شـنودة دون يد منه أو ذنب في ذلك.

في العام 2008 أقر البابا شـنودة تعديلات جديدة على لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس التي كانت الكنيسة تعمل بها منذ عام 1938، ألغى البابا شنودة كل الأسباب المؤدية للطلاق مكتفيًا بسببين هما علة الزنا وتغيير الملة أي تغيير طائفة أحد الزوجين إذ تشترط الكنيسة زواج متّحدي الملة والطائفة، فإذا تزوجت سـيدة إنجيلية برجل أرثوذكسي عليها تغيير ملتها قبل الزواج والانضمام لكنيسته، وإما يصبح زواجهما باطلًا.

حين جاء البابا تواضروس للكاتدرائية، كانت أعداد المتضررين الراغبين في الطلاق قد وصلت إلى أرقام غير مسبوقة، إذ كان الأنبا بولا أسقف طنطا يدير المجلس الإكليريكي المختص بالفصل في قضايا النزاعات الزوجية والأحوال الشخصية، وقد كنتَ تسمع بسهولة عن قصص مَن ينظر المجلس في قضاياهم منذ تسعة أعوام أو أكثر أو أقل ومازال في انتظار قرار الكنيسة.

في السنوات الأخيرة من عصر البابا شنودة بدأ هؤلاء المتضررون في تشكيل تيارات وائتلافات تتحدى سلطة الكنيسة وتتظاهر أمامها مطالبة بسرعة الفصل في تلك القضية، خاصة وأن إقرار اللائحة بهذا الشكل لم يكن له أي أساس دينى إذ كان الطلاق يتم لأسباب متعددة قبل وصول البابا شنودة للكاتدرائية.

حاول البابا تواضروس حل تلك المشكلة إداريًا وعمل على تقسيم المجلس الإكليريكي المختص بالأحوال الشخصية والذي كان كله في يد الأنبا بولا إلى ستة مجالس فرعية وفقًا للتوزيع الإقليمي والجغرافي على رأس كل مجلس منهم أسقف مسئول يخوّل له سرعة الفصل في تلك الملفات التي كانت معطلة في أدراج أسقف طنطا.

في بداية يونيو عام 2015 وبينما كان البابا تواضروس يُلقي عظة الأربعاء الأسبوعية من الكاتدرائية، قاطعه متضررو الأحوال الشخصية وتظاهروا أمامه مما اضطره لقطع عظته ثم تأجيلها مؤقتًا بدعوى تجديد الكاتدرائية إلى أن استقر على نقلها كل أسبوع في كنيسة مختلفة لكي يطل على شعب هذه الكنائس ويأمن شر المظاهرات.

وقتها ولأول مرة صرح مسـؤول كنسي بشكل معلن عن مؤامرة ضد البطريرك؛ حيث أكد رويس مرقص، وكيل عام بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالإسكندرية، في بيان له "أن البابا يتعرض لحملة هجوم ممنهجة لإظهاره منفصلًا عن شعبه، من عدة فئات ممن يتصورون أنهم هم فقط الذين يحبون الكنيسة ويخافون عليها ويحمون تراثها مثلما حدث في موضوع الميرون، من له مطالب يستحيل الاستجابة لها مثل موافقة الكنيسة على الزواج المدني والطلاق لأسباب لا تقرها الكنيسة، من يبحث عن شهرة أو مال فيهاجم البابا، وقال "لا نعلم من وراء هؤلاء، ومن الذي له مصلحة في هذه الحملة، ولكن من الواضح أن عدو الخير يحاول أن يضرب الراعي لتتشتت الرعية، وأمام كل هذا ينفذ البابا وصية الإنجيل نُشتم فنبارك، فمع كل هجوم لا يرد بل يستمر في العمل الإيجابي من أجل صالح الكنيسة".

"البابـا يرفض إلحـاح أبنائه بالرد مفضلًا الصمـت، ولعل ماحدث يـوم الأربعاء الماضي فرصة لتوضيح الحقائق أمام الشـعب ليعرف مدى إخلاص بابا الكنيسـة، وفي نفس الوقت مدى الحرب الشيطانية الشرسة التـي يتعرض لهـا"، مضيفًا "أن الدنيـا قامت ولم تقعد بعد إلغاء قداسـة البابا عظته الأسبوعية الأربعاء الماضي ومغادرة الكاتدرائية بسبب تجاوز بعض الأشخاص داخل الكنيسة وإصرارهم على الشغب والهياج بحجة مطالبتهم بما هو ليس حقهم من وجهة نظر الكنيسـة"، البابا تواضروس تعرض للهجوم والانتقاد والشائعات، والحقيقة أن الأمر يحتاج إلى وقفة وتوضيح الحقائق".

"البابا يحلم بالكنيسة التي تقدم الخدمة لكل فرد، ومن أهم اهتماماته منذ جلوسه على الكرسي موضوع الأحوال الشخصية، ويقول البابا" يؤلمني جدًا أن يعتقد ابن للكنيسة أنها تظلم حتى أنه عقد مؤتمرين لدراسة لائحة الأحوال الشخصية آخرها الأسبوع الماضي بالإضافة للعديد من اللقاءات والاجتماعات ليصل في النهاية إلى أن يتحول المجلس الإكليريكي العام الذي كان مسؤولًا عنه نيافة الأنبا بولا إلى ست دوائر فرعية كل منها مكون من أسقف وكاهنين وطبيبة ومحام لسرعة البت في مشاكل الناس".

"يحق لمن يعترض على حكم أصدرته أي دائرة فرعية التظلم أمام المجلس الإكليريكي العام الذي يجتمع مرة كل عام برئاسة البابا ويعاونه سكرتير المجمع المقدس الأنبا رافائيل وعضوية كل أعضاء المجالس الفرعية الثلاثين مجموع الست دوائر"، مضيفًا "أنه بدأ بالفعل العمل بهذا النظام، وهذا من شأنه التسهيل على الكل، مع إعداد لائحة جديدة لا تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة ولكن تقدم حلولًا للكثير من المعضلات التي كانت تتسبب في تدمير الأسر، فهل لم ير الذين يهاجمون البابا أي شيء إيجابي في كل ما سبق؟ أم أنهم لا يعلمون؟".

"البابا يتواصل مع شعبه، ولكن بأسلوب منظم فهو يُسلم على كل أفراد الشعب بعد كل قداس أو عشية أو اجتماع في كل كنيسة يزورها وما أكثرها، ويلبي طلبات الكل من يريد الصلاة أو تسليمه طلبًا أو التصوير، كما أن البابا يلتقط الصور بنفسه مع أبنائه بطريقة السيلفي التي يحبها الشباب فهو أب قريب من أولاده يشاركهم ما يحبونه بما لا يتعارض

مع هيبته، لدرجة وقوفه أحيانًا بالساعات ليفرح الكل بينما يشفق عليه أبناؤه لمعرفتهم بما يعانيه من آلام الظهر، بخلاف فريق من المعاونين والسكرتارية لمقابلة كل من له مشكلة والعمل على حلها".

"هل يليق لأى شخص اقتحام الكنيسة واستغلال اجتماع روحي غرضه الوحيد هو توصيل كلمة الله للمستمعين في الكنيسة أو على شاشات القنوات الفضائية لإثارة مشكلة؟ وهل أصبح الهرج والمرج وإثارة الشغب هو طريق حل المشاكل؟ وأين احترام بيت الله الذي يليق به القداسة؟".

"البابا ليس معزولًا عن شعبه كما يحاول البعض إظهاره والسكرتارية تتواصل مع الكل والطبيعي أن تكون هناك طلبات مرفوضة لأنها ضد تعاليم الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة سواء فيما يخص الأحوال الشخصية أو غيرها، فما هو المطلوب إذا حاولت الكنيسة احتواء هؤلاء الأشخاص ولكنهم غير مستعدين؟".

"هل كان مطلوبًا من البابا أن يستجيب لطلباتهم؟ وهل لو فعل يكون أمينًا على مسؤوليته أمام الله؟ إن كل ما فعله البابا وتعرض بسببه للهجوم الضاري هو أنه ترك الاجتماع بمنتهى الهدوء دون أي كلمة أو حتى لوم لهؤلاء المحتجين، وبدلًا من ذكر الحقيقة التي رآها الملايين إذا باتهامات توجَّه إلى البابا بأنه سلم أولاده للشرطة وللنيابة وهذا لم يحدث".

"إن بطريرك الكنيسة يقبل بحب الاختلاف معه في الرأي بل ويرحب بذلك ويسعى لسماع وجهات نظر مختلفة ويهتم بكل رأي، ولكن في

إطار من الاحترام واللياقة، وكثيرًا ما يحتوى من يخالفه الرأي بالصبر والمحبة".

في تلك الفترة عرفت الصحافة لأول مرة جماعة أطلقت على نفسها "حُماة الإيمان" القبطية كانت تلك الجماعة تتصدى لمتضرري الأحوال الشخصية وتناظرهم وتقف ضد مطالبهم بتغيير اللائحة مستخدمين في ذلك آيات من الأناجيل وتفاسير وأقوال لآباء الكنيسة، الجماعة التي اتخذت من السوشيال ميديا مسرحًا لها، كانت تقوم في تركيبتها على عدد من الشمامسة ومعلمي اللاهوت الكنسي ومدرسي العقيدة إلا أن الأيام كشفت بعد ذلك أن عددًا من الأساقفة وقفوا إلى جوار هؤلاء أو هم الذين أوعزوا لهم بتشكيل تلك الجماعة.

لم يقتصر دور جماعة حماة الإيمان التي نشطت عبر السوشيال ميديا على التصدي لمتضرري الأحوال الشخصية، بل إن الأمر بدأ في الوضوح أكثر حين ظهرت قضية علاقة البابا تواضروس بالكنائس الأخرى، حيث عملت تلك الجماعة مع عدد من الصفحات الإلكترونية على فيس بوك بينها "عضمة زرقاء" و"أبناء البابا شنودة الثالث"، على معارضة البابا البطريرك وتصرفاته وخطواته.

كانت أبرز جوانب معارضة البابا هي قضية العلاقة مع الكنائس الأخرى، إذ إن البابا تواضروس يؤمن بشكل تام بضرورة الوحدة الكنسية بين الطوائف المسيحية، حتى أنه خصص زيارته الخارجية الأولى لزيارة الفاتيكان تعضيدًا منه لهذا المبدأ وسار البابا على هذا النهج الذي يرفضه

المتشددون ممن يرون أن الأرثوذكس فقط يملكون مفاتيح الفردوس، أما بقية الطوائف فهي مارقة وخارجة عن الدين وتعاليمه القويمة ولا يمكن قبول معتقداتها.

في أكتوبر من العام 2015 زار البابا تواضروس السويد، وصلّى إلى جوار رئيسة أساقفة الكنيسة السويدية اللوثرية، وهي كنيسة إنجيلية تشكلت بعد حركة مارتن لوثر الإصلاحية التي انشق بموجبها عن الكنيسة الكاثوليكية، الكنيسة التي صلى بها البابا تبيح رسامة المرأة قسيسة وتسمح بزواج المثليين، لن يمر هذا الأمر مرور الكرام، سيكشر المتطرفون عن أنيابهم وسيعودون للحرب على البابا مرة أخرى عبر صفحاتهم وقنواتهم الفضائية مدفوعين بالموتورين من الأساقفة.

سيتهمون البابا بإفساد العقيدة والخروج عليها، وسيضطر البابا للدفاع عن نفســه في قناة الكنيسة فيقول في حوار تلفزيونى نقلته قناة سي تي، إنه كان ضيفًا للكنيسة السويدية وشارك بصلوات القداس بقيادة سيدة وهو ما يختلف عن تقاليد كنيســتنا القبطية ولكن المشاركة في صلوات القداس لا تتطلب التطابق في وجهات النظر أو الفكر أو العقيدة.

هناك خلافات بين الكنائس في العالم ولكننا نعمل بمحبة كبيرة، وشاركت أيضًا بمجمع أساقفة الكنيسة السويدية الذي يضم سيدات وحضره ملك السويد وألقيت كلمة هناك، والكنيسة السويدية تحيل الأساقفة على المعاش عند عمر الـ60 عامًا وتحيل رئيس مجمع الأساقفة للمعاش عند عمر الـ65 عامًا وهي أمور غير معمول بها في كنيســتنا ولكننا نتواصل مع المختلفين معنا بمحبة وصدر رحب.

ثم يكتب مرة أخرى في مجلة الكرازة مقالًا إزاء تلك الحملة فيقول: إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تعرف بأنها كنيسة رسولية محافظة تقليدية عاشت الإيمان الأرثوذكسي منذ أن دخل مارمرقس مصر، معتبرًا أن التواصل مع كنائس العالم رغم الخلافات العقائدية محبة للمسيح، لأن الكنائس أعضاء في جسد المسيح الواحد، إلا أن الأصوات المزعجة والقلوب المتحجرة لا ترى سوى ذاتها ومن ثم ترفض الحوار بين الكنائس، ولكن هناك أصوات عاقلة بدأت تنادي بالقيم المتبادلة بين الكنائس وضرورة الحوار والتواصل والتقارب على مستويات عديدة. إن التقارب بين الكنائس بدأ منذ سنوات حين دخلت الكنيسة القبطية في عضوية مجلس الكنائس العالمى، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، وانضمت للحوارات اللاهوتية

يجب أن تضطلع كنيستنا صاحبة التاريخ القديم بدور مميز في هذا الصدد، ويجب أن تمـد أيديها نحو الجميع بلا تفرقـة ولا تمييز وعلى أرضية المحبة المشـتركة للمسـيحية، دون الدخول في تفاصيل خلافات دينية وعقائدية والممارسات الطقسية، بالإضافة إلى افتقاد الكنائس القبطية في المهجر.

بابا الفاتيكان في القاهرة/ اتفاقية قبول المعمودية

في الثامن والعشرين من أبريل عام 2017 زار البابا فرنسيس بابا الفاتيكان مصر في أول زيارة له وصفت بالتاريخية، شهدت الزيارة لقاء البابا فرنسيس، بابا الفاتيكان، والبابا تواضروس الثانى وتوقيع اتفاقية بين الكنيستين حول المعمودية، وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة ويعد الاتفاق حولها خطوة كبرى في طريق التواصل بينهما.

النص الذي تم التوقيع عليه، بمقر الكاتدرائية، هو: "طاعةً لعمل الروح القدس الذي يقدس الكنيسة ويحفظها عبر العصور ويقودها لتبلغ الوحدة الكاملة التي صلى المسيح من أجلها، نحن اليوم البابا فرنسيس والبابا تواضروس الثانى كي نسعد قلب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وكذلك قلوب أبنائنا في الإيمان، نسعى جاهدين بضمير صالح نحو عدم إعادة

سر المعمودية الممارس في كنيستينا للشخص الذي يريد الانضمام للكنيسة الأخرى حسب تعاليم الكتاب المقدس وإيمان المجامع المسكونية الثلاث في نيقية والقسطنطينية وأفسس، نطلب من الله الآب أن يقودنا في الأوقات وبالطرق التي يريدها الروح القدس إلى بلوغ الوحدة التامة لجسد المسيح السري".

سر المعمودية هو أحد الأسرار الكنسية السبعة والذي يترتب عليه سر آخر هو سر الزواج، وفقًا لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية لا يجوز الزواج إلا لمتحدي الملة والطائفة وهو ما يتم من خلال سر المعمودية، الكنيسة الأرثوذكسية لا تقبل معمودية الكنائس الأخرى ومن ثم فإن زواج كاثوليكي بأرثوذكسية يتطلب تعميده مرة أخرى، أو تغييرها لملتها لتصبح كاثوليكية وتتزوج في الكنيسة الكاثوليكية وفقًا لطقوسها.

تقبل الكنيسة الكاثوليكية معمودية الأرثوذكس ولا تعيد المعمودية مرة أخرى بينما تعيد الكنيسة الأرثوذكسية تعميد أي شخص لم يُعمد أرثوذكسيًا عند ولادته.

شكل هذا الاتفاق نقطة تلاقٍ كبيرة بين الكنيستين، إلا أن أساقفة التيار التقليدي المتشدد شنوا حملة شعواء ضد الأمر ورفضوا الاتفاقية مما اضطر الكاتدرائية لتغيير نصها بعد التوقيع عليها من "قبول معمودية الكاثوليك" لـ"نسعى جاهدين لعدم إعادة المعمودية".

كان من بين من تزعموا حركة الهجوم تلك الأنبا إبرام أسـقف الفيوم الذي قال إن البابـا تواضروس أخطأ في ذلك وكونه بطريرك لا يعنى أنه معصومٌ من الخطأ. الأنبا إبرام اتهم البابا صراحة بعرض وثيقة الفاتيكان على عدد من الأساقفة بالمخالفة لقوانين المجمع المقدس الذي يحق له وحده البـت في ذلك، فلا وحدة مع الكاثوليـك دون حوار لاهوتى مثلما يقول ويشدد: إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تقبل انضمام أرثوذكسى إليها بدون إعادة معموديته، فهذا شأنها. لكن بالنسبة لنا مازلنا متمسكين وملتزمين بـضرورة إعادة المعمودية لـمَن يرغـب في الانضمام، عاونه في ذلك الأنبا أغاثون أسـقف مغاغا الذي رفض الاتفاقيـة جملة وتفصيلًا ثم توالى بعد ذلك رفض أساقفة التيار التقليدي لتلك الاتفاقية.

عـلى النقيض كان موقف الأنبا إبيفانيوس رئيس دير أبو مقار وتلميذ القمص متى المسكين أول من آمن بضرورة الوحدة مع الكنائس الأخرى، إذ تتسم تلك المدرسة الرهبانية بقدرة أتباعها على القراءة مباشرة من اللغة اليونانية، بالإضافة إلى البحث في المخطوطات القديمة التي هي سمة تميز دير أبو مقار الذي يضم مكتبة عامرة بالمخطوطات التاريخية.

الأنبا إبيفانيوس لم يدخل معركة توحيد معمودية الكاثوليكة التي دخلها أساقفة التيار التقليدي إنما ادخر ذلك لمؤتمر أصدقاء التراث العربي المسيحي الذي استـضافته كلية اللاهوت الإنجيلية التابعة للكنيسـة الإنجيلية في أبريـل 2018، أي بعد عام من توقيع اتفاقية الفاتيكان وقبل ثلاثة أشـهر

من مقتله، كانت محاضرته كاملة العدد إذ شكلت قفزة على ما يروج له أساقفة التيار التقليدي الذين يدعون إن إعادة المعمودية جزء من تراث الكنيسة الأرثوذكسية الذي تسلموه من الآباء الأوائل قبل قرون ولكنه كشف عبر مخطوطات أثرية ما كانت تتبعه الكنيسة القبطية بالتحديد في هذا السياق وفجر مفاجأة غير سارة للأساقفة الذين لم يوردوا أي دليل على آرائهم.

قال الأنبا إبيفانيوس في تلك المحاضرة المسجلة على الإنترنت إن الكنيسة الأولى شهدت نقاشًا حول سر المعمودية وقد كانت هناك آراء متشددة ترى أن معمودية الهراطقة والخارجين عن الكنيسة لا تُحسب معمودية وقد تبنى ذلك آباء شمال إفريقيا، بينما تبنى أخرون أن المعمودية لا تتم إعادتها إن تمت في كنيسة تقليدية مثل الكنيسة الكاثوليكية وقد كان ذلك رأي الكنيسة القبطية والكنائس التي تميزت بالاعتدال.

وأورد الأنبا إبيفانيوس وهو ما يعنينا في ذلك رأي الكنيسة القبطية، فقد قال البابا خرستوذولس البطريرك الـ66 من بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في النصف الثاني من القرن الـ11 رأيه في هذا الأمر في مخطوط لدينا نسخة منه بمكتبة دير الأنبا مقار حيث حملت المخطوطة عنوان "حُكم زواج رجل قبطي من امرأة ملكانية" والملكانية تعني الكاثوليكية أو المنتمية لكنيسة الروم الأرثوذكس.

وذكر الأنبا إبيفانيوس نقلًا عن المخطوطة إن القانون ينص على "من

تزوج بامرأة ملكانية فلا يُمكّن من ذلك إلا أن يتكلّلا عندنا بعد أن يُشرط على المرأة ألا تتناول إلا عندنا والأطفال لا يتعمدون إلا عندنا".

وشرح قائلا "أي إننا لا نمكنها من الزواج إلا إذا كانت صلاة الأكليل في كنيستنا الأرثوذكسية على أن نشترط عليها تعمد أبنائها عندنا وهو الشرط الوحيد الذي وضعه، وقد كان هذا البابا يعترف بمعمودية الكاثوليك والروم الأرثوذكس واشترط فقط أن نشترط على الزوجة الحضور في الكنيسة الأرثوذكسية فقط وممارسة طقوسها".

وفي مخطوط آخر كتبه الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر، يحمل عنوان مخطوط الطب الروحاني منسوب للأنبا ميخائيل الأسقف في منتصف القرن الثالث عشر جاء فيه" ينبغي أن تعلم أن القانون 18 و19 و33 لمجمع نيقية الذي يحمل العنوان فيمن يجب أن يعمد ثانية ومن لا يجب تعميده من الهراطقة".

"يأمرنا بمعمودية قوم على ملل لم يبقَ في زمننا منهم أحد يعرف، وهم بعض الهراطقة الذين ذُكروا في الكنيسة الأولى مثل السبتية وأصحاب سيمون الساحر والأريوسية وأصحاب مقدونيوس وذكر ما يطول به الشرح وقد أبادهم الله من الأرض".

وفي الباب السادس من مخطوط الطب الروحاني: أما من عَلم الروح القدس أن إيمانهم مستقيم أو قريب من الاستقامة وقد انشقوا عنا بعوائد

وسنن وأقوال التزموا بها وزاملوها، فلم يذكر الآباء ضرورة تعميدهم مرة أخرى.

وأردف شارحًا: فمن آمن بالثالوث وبالتجسد يعتبر في عرفنا مؤمنًا أرثوذكسيًا ولا ينقص إيمانه في شيء من جهة الإيمان بل من جهة ما تخصص، ما انفرد به من عوائد أو سنن أو خالف في بعض الأصوام والأعياد، ولا يجب لنا عماده أو لعن دينه أو اعتقاده لأنه تضمن قبول الإنجيل المقدس وكتب الأنبياء والرسل، بل يجب دحض عوائدهم وسُننهم، لا نقول إن عوائدهم خاطئة بل نقبل من يأتي منهم كما نقبل المؤمن الذي طلب التوبة لا يجب أن يعد كالكافر والوثني واليهودي بل يقبل معموديته وكهنوته وميرونه وهذا النص يفصل تمامًا بين معمودية الهراطقة وبين معمودية الكنائس القديمة المختلفة في الإيمان.

كانت تلك المحاضرة الذائعة الصيت سببًا، في هجوم كتائب السوشيال ميديا المدعومة من الأساقفة على الأنبا إبيفانيوس والبابا تواضروس من بعده مع اتهامات تتضمن التفريط في العقيدة والهرطقة والرغبة في إفساد الكنيسة القبطية وشق صفها.

مجمع مايو 2018

رياح التغيير التي عصفت برجال الحرس القديم

بعد شـهر ونصف من محاضرة الأنبا إبيفانيوس الشـهيرة حول قبول معمودية الطوائف الأخرى، كانت الكنيسـة الأرثوذكسية على موعد مع خطوة جديدة نحو التغيير، فقد عقد المجمع المقدس للكنيسـة في موعده في نهايـة مايو ولكن تلك الـدورة لم تكن ككل الدورات التي يناقش فيها آباء الكنيسة أمورًا عقيدية بشكل روتيني، لقد شهدت تلك الدورة عددًا من التغييرات التي أجـراها البابا تواضروس في تركيبة الكنيسـة ومواقع القيـادة فيها وقد كانت جـزءًا من برنامج طويل المـدى يعمل عليه البابا منذ يومه الأول على سـدة كرسى مارمرقس حين حلم بأن ينقل المؤسسة الكنسـية إلى عـصر التنوير رغم ما يواجه هذا المـشروع من عقبات أهمها

اختطاف الكنيســة من قبل الأساقفة الصقور أو التقليديين، الذين كانت لهم الغلبة طوال السنوات الماضية في عصر البابا شنودة ابن نفس المدرسة، بينما كانت مدرسة متى المسكين أو حمائم الكنيسة أبناء التيار المتاوى مُبعدين ومُسـتبعدين لا يعتلون المناصب الكنسية العليا ولا يخرجون من أديرتهم الصحراوية.

حين جاء البابا تواضروس إلى كرسـى بابا الإسـكندرية، شكل فريقه الخـاص، رجال يثق بهم يتولون مهمة قيادة الكنيســة في عصر الإنترنت، وكانت اختيارات البابا تنحصر بين عنصرين أساسـين هما قوة الشخصية والشباب، فإن مال البابا لأحد الأساقفة فلا بد وإنه يتمتع بشخصية حاسمة كنموذج الأنبا دانيال أسـقف المعادى الذي جرى تصعيده في عصر البابا تواضروس أكثر من مرة، ما بين مسئولٍ عن المجلس الأكليريكي للأحوال الشـخصية ثم نائبًا باباويًا يدير الكنيسة في غياب البابا تواضروس خارج البـلاد، وأخيرًا على مقعد سـكرتير المجمع المقـدس أي الرجل الثانى في الكنيسة رسميًا.

أما الشباب فكان لهم نصيبٌ كبير من اختيارات البابا تواضروس، وعلى رأسهم الأنبا يوليوس أسقف الخدمات الاجتماعية، شاب أربعيني دخل الكاتدرائية من بابها الواسع، واعتلى مقعد الخدمات الاجتماعية وثيق الصلة بالفقراء وبعطايا الكنيسة بديلًا عن الرجل القوي الأنبا يؤانس سكرتير البابا شـنودة الذي تم إبعاده إلى أسيوط أسقفًا على الإبراشية التي كان يشرف

عليها أيام مرض أسقفها الأنبا ميخائيل، وتتوالى اختيارات البابا وتتعدد ويظل الثنائى "دانيال" و"يوليوس" محل ثقته وإعجابه فيحظى الأول بمنصب سكرتير المجمع المقدس، ويعين الثانى عضوًا في لجنة السكرتارية، أما الاختيار الثالث فكان من نصيب الأنبا جابرييل، أسقف النمسا، الرجل الذي أدار الملف العلاجى للبابا وبنى علاقات واسعة مع الكنيسة الكاثوليكية هناك -حتى أن الأخيرة أهدت الكنيسة القبطية كنيسة كبيرة في قلب العاصمة فيينا-، وهي الصفات التي يحرص البابا تواضروس عليها في معاونيه ويشدد عليها "القلب المنفتح" والعلاقات الطيبة مع الكنائس الأخرى، أما الاختيار الرابع، فكان من نصيب الأنبا غبريال أسقف بنى سويف، وهو وجه جديد على الكاتدرائية، فلم يسبق له أن وضع في اختبارات هامة وحاسمة سوى إدارته للدير المحرق عقب وفاة الأنبا ساويرس أسقف الدير وحتى تعيين رئيس جديد للدير نفسه.

منصب جديد استحدثه البابا تواضروس ضمن قرارات المجمع المقدس في دورة مايو، وهو منصب المراقب الباباوى للحوار، إذ عين الأنبا إبيفانيوس رئيس دير أبو مقار، أحد أشهر تلاميذ متى المسكين مراقبًا بلجنة الحوار اللاهوتى، وهي اللجنة التي يرأسها الأنبا بيشوي مطران كفر الشيخ والبراري منذ سنوات طويلة، وهو الأمر الذي أثار دهشة المتابعين، إذ يعتبر الأنبا بيشوي أحد أهم معلمى اللاهوت التقلديين في الكنيسة إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق، بينما يأتى الأنبا إبيفانيوس من مدرسة مغايرة، تُتهم دائمًا

بالخروج عن التقاليد الكنسية وبالبدع من أبناء المدرسة الأولى.

"الأنبا هرمينا" أسقف عين شمس الشاب، اختيار جديد للبابا يتقدم نحو موقع المسئولية إذ جرى تعيينه رئيسًا للمجلس الإكليريكى للأحوال الشخصية بالقاهرة، وهو الملف الأسخن في الكنيسة، بينما تم إبعاد الأنبا بولا عن رئاسة المجلس الإكليريكي بأستراليا دون أن تعلن الكنيسة عمن يخلفه، وهو القرار الذي أثار ارتياحًا كبيرًا في أوساط المتضررين العالقين في زيجات فاشلة إذ تسبب سوء إدارة الأنبا بولا لملف الأحوال الشخصية طوال الـ30 سنة الماضية في الكثير من الأزمات.

كذلك فإن البابا وضع مادة جديدة تخص تشكيل اللجان الدائمة بالمجمع المقدس، فلكل لجنة مدة الثلاث سنوات يجرى بعدها الاقتراع السرى بين الأساقفة لاختيار رؤساء اللجان، وهو القرار الذي يفك احتكار بعض الأساقفة للجان سنوات طويلة ويعطي الفرصة لآخرين.

أثناء اجتماعات المجمع المقدس لتلك الدورة الساخنة انكشف بوضوح أن الصراع بين الأساقفة قد دخل مرحلة جديدة، حيث طالب البابا في اجتماع لجنة الإيمان والتشريع والتعليم الأساقفة بالتوقف عن إصدار بيانات منفردة بعيدة عن الكاتدرائية ومتحدثها الرسمي خاصة البيان الصادر عن أساقفة المهجر موقعًا من 12 أسقفًا بعد اجتماعهم في كندا وهو البيان الذي أعدوه ردًا على الأنبا إنجيلوس إذ تسببت تصريحات منسوبة للأخير في إطلاق وابل من الهجوم عليه حين قال إن بعض قصص الإنجيل رمزية ثم

عاد وفسر ذلك بما أسماه المدرسة الرمزية في تفسير الإنجيل، وقد كان الأنبا إنجيلوس يخدم كأسقف لكنائس شبرا الشمالية ثم انتدبه البابا تواضروس للخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية كنائب باباوي له ثم عاد فجأة من هناك بعد أن قيل إن أساقفة المهجر رفضوا استمراره في الخدمة معهم وقد ظهر ذلك جليًا بعد البيان الذي أصدروه ضده.

بالإضافة إلى البيانات التي اعتاد الأنبا أغاثون أسقف مغاغا والعدوة إصدارها باسم رابطة خريجي الكلية الإكليريكية التي يرأسها، الأمر الذي رفضه الأساقفة حيث تمسك أسقف مغاغا بحقه في إصدار بيانات باسم الرابطة مؤكدًا أن الأمر يأتي بدافع غيرته على الإيمان المسيحي وتقاليد الكنسية.

الأنبا أغاثون أسقف مغاغا فقد انضم لجبهة مهاجمي البابا مستخدمًا رابطة تسمى رابطة الكلية الإكليريكية وهي جمعية أهلية أسسها مع عدد من خريجي الكلية المختصة بتخريج القساوسة فلم تفوت الرابطة فرصة لافتعال الأزمات في الكنيسة إلا واستغلتها فيها، سواء بالدعم أو بإطلاق البيانات أو التصريحات على لسان الأنبا أغاثون أسقف مغاغا والعدوة ورئيس الرابطة، واللافت في الأمر أن كل تلك المواقف التي تشعلها رابطة الكلية الإكليريكية دائمًا ما تكون ضد موقف البابا تواضروس أو قرارات الكنيسة الرسمية.

وفي رد فعل عكسي صدر عن الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بيانًا جاء

فيه: "نظرًا لما صدر في بيان منسوب لطلاب الكلية الإكليريكية بالعباسية تتبرأ فيه من الرابطة وتؤكد أنها مجرد جمعية أهلية مقرها خارج الكلية الإكليركية وهدفها الرعاية الاجتماعية لأعضائها، وأن ما تصدره من بيانات بتوقيع رئيس مجلس إدارتها الأنبا أغاثون وبعض أعضاء مجلس إدارتها ومنهم رشدى واصف، إنما هي بيانات تمثل هذه الجمعية التي ليس من اختصاصها إصدار بيانات تتضمن أمورًا لاهوتية وعقائدية، طبقًا لقانون الجمعيات الأهلية، ومن ثم فما يصدر عنها من بيانات هو مخالف لقانون الجمعيات الأهلية ويُعاقِب عليه القانون ويهددها بالحل، لذا وجب التنويه بأن هذه البيانات لا تمثل أساتذة وطلاب الكلية الإكليركية".

وكان للأنبا أغاثون نصيب أيضا من معركة توحيد معمودية الكاثوليك فالأسقف أصدر بيانًا اتهم فيه الكنيسة الكاثوليكية بالهرطقة، وألمح إلى أن توقيع البابا على بيان قبول معمودية الكاثوليك فيه تنازل عن الإيمان الأرثوذكسى.

بعدها نشر البابا تواضروس مقالًا في مجلة الكرازة الناطقة باسم الكنيسة يفسر فيه حقيقة التغييرات التي أجراها بالمجمع المقدس وقال إن حركة التغيير والتجديد في المناصب الإدارية بالكنيسة، تأتي في إطار احتياجها إلى فكر إدارى حديث، وضخ دماء جديدة، حيث تجري التغييرات بسلاسة ومحبة.

إذ ذكر البابا تواضروس نصًا أن الكنيسة منذ تأسيسها وهي تقوم على نظام يتطور إداريًا من مرحلة إلى مرحلة، بحسب معطيات الزمان الذي

توجد فيه، وأنه مع امتداد الكنيسة واتساع عملها وخدمتها ونشاطها؛ احتاجت إلى نظام إداري جيد ومتجدد، بحسب المسؤوليات التي تظهر، لخدمتها.

جرى تجديد لجنة سكرتارية المجمع المقدس، في نموذج سلس للتغيير والتجديد الناعم، بروح المحبة الكاملة التي تسود أعضاء الهيئة العليا في الكنيسة، وهي المجمع المقدس، وعلى نفس وتيرة من التجديد وضخ الدماء الجديدة وتكوين الخبرات وتأهيل للمسؤوليات التي تحتاجها خدمة الكنيسة، جُددت آلية العمل في المجلس الإكليريكي للأحوال الشخصية.

إنه من أجل تجديد العمل الإداري بالكنيسة، افتتح معهد جديد، منذ عامين، في العلوم الإدارية والتنموية، لتقديم دورات ودراسات للأساقفة والكهنة والرهبان والمكرسات والشمامسة والخدام والخادمات، عن العمل الإداري والتنظيمي.

أرحب بكل فكر وجهد ورؤية واقتراح لتطوير العمل الكنسي القائم على روح المحبة والأمانة، والبُعد عن الهوى الشخصي والذات والرؤية الضيقة أو الفكر النفساني العقيم، مطالبًا بأن يكون هذا محور دراسة تأمل في اجتماعات مجالس الكنائس ومجامع الكهنة واجتماعات الخدام في سائر الكنائس والإيبارشيات".

كانت تلك المقالة محاولة لدرء الفتنة التي حدثت عقب تغيير المناصب العليا في المجمع المقدس والإطاحة بمعظم رجال الحرس القديم من اللجان التي كانوا يتولون إدارتها.

احتفالية الإسكندرية

متى المسكين يظهر في حفل كنسي قبل أيام من الحادث

في الخامس والعشرين من يوليو أي قبل مقتل الأنبا إبيفانيوس بأيام معدودة، نظمت إيبراشيات الإسكندرية حفلًا لإحياء ذكرى مئوية مدارس الأحد هناك، وهي الاحتفالات التي عمت كل الإيبراشيات كل في موعد، وقد شارك البابا تواضروس بالحضور في معظمها بالفعل.

تعتبر مدينة الإسكندرية وكنائسها من أكثر المناطق التي يحظى فيها البابا تواضروس بالحظوة، إيبراشيات المدينة الملقبة بالمدينة العظمى تأسست في عصر البابا تواضروس إذ كانت قبل ذلك تابعة لإشراف البابا البطريرك شخصيًا ولا يعين لها أساقفة، وحين جاء البابا تواضروس عُين لها الأنبا بافلي كأسقف للشباب بالإسكندرية ونائبًا باباويًا له هناك، والأنبا إيلاريون

أسقفًا لغرب الإسكندرية، ومن ثم فإن تيار البابا مسيطر وغالب في تلك المدينة.

في احتفالية مدارس الأحد، التي نظمتها الإسكندرية ظهرت صورة كبيرة على المسرح للقمص متى المسكين مُذيلة بعبارة "مدارس الأحد" مع جيل الرواد، وهو الأمر الذي أثار دهشة وحنق التيار التقليدي المتشدد في الكنيسة، القمص المثير للجدل لم يكن من رواد مدارس الأحد ولم يكن من دراويشها أو معلميها يومًا ولكن ظهوره في هذا التوقيت وبعد تغييرات هيكلية أُجريت في المجمع المقدس بعث رسالة للجميع تؤكد صعود تيار متى المسكين المعروف باسم التيار الآبائي على حساب التيار التقليدي المتشدد من تلاميذ البابا شنودة ورجال عصره.

لكن من هو القمص متى المسكين الذي يثير الجدل من قبره؟

متى المسكين والبابا شنودة صراع القطبين

وُلد متى المسكين عام 1919م، وتخرج في كلية الصيدلة عام 1943م، اشتغل في المهنة حتى سنة 1948م وكان يمتلك صيدلية في دمنهور، ثم قرر أن يترهبن، فباع كل ما يملك ووزعه على الفقراء وترهبن في دير الأنبا صموئيل في الصعيد يوم 10 أغسطس 1948م، واختار هذا الدير لأنه كان أفقر دير وأبعد دير عن العمران وأكثرهم عزلة.

سرعان ما هزلت صحته بسبب فقر الدير الشديد وأجبر على الانتقال إلى دير السريان بوادي النطرون سنة 1951. عاش متوحدًا في مغارة وسط الصخور بعيدًا عن الدير، وبعد سنتين كُلّف أن يصير أبًا روحيًا لرهبان الدير وعلى الأخص للشباب المتقدم للرهبنة حديثًا.

وقد ظل هناك حتى تم تكليفه بالعمل كوكيل لبطريركية الإسكندرية ليضبط الحياة الروحية والخدمة فيها، ويتيح المنصب عضوية المجمع المقدس بالكنيسة أيضًا.

في تلك الفترة كان القمص متى على الموعد الأول مع الصدام مع السلطة الكنسية وهو الأمر الذي سيتكرر مع كل الباباوات الذين عاصرهم الرجل، فقد بدأ الكهنة يعترضون على قراراته وطريقة تفكيره مما دفعه لترك الخدمة مرتين حتى أقاله البابا يوساب الثاني عام 1955.

وعن ذلك يقول القمص متى:

رفضت أن يتقاضى القساوسة العطايا من الناس، وقررت لكل منهم راتبًا شهريًا من الكنيسة كان 80 جنيهًا، وهو مبلغ كبير، وسعيت للقضاء على الإسراف، فانقلب أصحاب المصالح على إصلاحاتي التي أخذت بها الكنيسة فيما بعد، وكان أن أجبرت على ترك موقعي.

بعد جلوس الأنبا كيرلس السادس على الكرسي البابوي، أصدر البابا قرارًا بحرمان الأب متى من الكهنوت، وأمر جميع الرهبان العاملين داخل المؤسسات الكنسية والمدن بالعودة إلى أديرتهم، وأمر الأب متى بالخروج من بيت التكريس في حلوان، ولكن الأب متى رفض تنفيذ القرار وخرج مع 12 راهبًا وذهبوا إلى مكان مهجور في وادي الريان بالقرب من الفيوم، ومكثوا لمدة 10 سنوات داخل إحدى المغارات الموحشة، وكان من بين

هؤلاء تلميذه الراهب أنطونيوس السرياني (البابا شـنودة فيما بعد) الذي قرر مع عدد من الرهبان ترك المكان لقسوته ووعورته.

وفي سـنة 1969، بعد مُصالحة مع البابا كيرلس، دعاه البابا مع جماعته الرهبانية (12 راهبًا) للانتقال إلى دير أنبا مقار بوادي النطرون الذي كانت الحياة الرهبانية فيه توشك أن تنطفئ، وعهد إليه بمهمة تعمير الدير وإحياء الحيـاة الرهبانية فيه من جديـد(*)، بدأ الأب متّى تعمـيرًا ماديًا ومعنويًا، حيث مجهوده موزعٌ بين الزراعة وبناء القلايات وتعليم سُكانها من الرهبان الشباب، وإطلاق العظات وخطّ المؤلفات التي صارت مرجعًا لقساوسة من كل أنحاء العالم.

كان الأب متى المسكين يؤمن بضرورة إعادة الرهبنة إلى جذورها الأولى، رهبنة الآباء الأوائل المنعزلة عن العالم وكان لكتابه حياة الصلاة أثرًا كبيرًا في اجتذاب الشباب للرهبنة، ولمن لم يرغب في الرهبنة لكنه لا يريد أن يفوّت على نفسه خدمة الكنيسة.(**)

لاهوتيًا، كان للأب متى المسـكين الكثير من الأفكار المغايرة للسـائد كنسيًا، مثّل فكر متى المسكين خطًا إصلاحيًا متميزًا ومغايرًا لغالب الخط الكنسي الأرثوذكسي السائد، فهو يرى أن التربية الروحية هي الدور الرئيسي

(*) موقع دير الأنبا مقار.

(**) على خُطى متى المسكين.. من الأنبا مقار إلى باب السماء، صفاء سرور، موقع المنصة.

والوحيد للكنيسة، وأن اعتماد الكنيسة على السلطة الزمنية يعتبر هجرانًا أكيدًا للمسيح وإنكارًا للروح القدس كمصدر للقوة، وبناءً على الأصل المسيحي "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، فالأب متى يرى أن مصدر قوة قيصر هو المال وسياسة الدهاء والقدرة على البطش، بينما مصدر القوة عند الله هو الروح القدس والقدرة على شهادة الحق، كما يرى أن القوتين متعارضتان ولا يمكن الجمع بينهما، وإلا فقدت الكنيسة معونة الروح القدس وكانت حالذاك لا تشهد بالحق(*).

كما يرى الأب متى أن أي استخدام لوسائل أخرى غير المناداة الحرة بالتوبة لدعوة الخُطاة إلى الخلاص من خطاياهم هو عمل مستحيل؛ لأنه ليس ثمة خلاص إلا بالتوبة، وكل وسيلة أخرى مثل ترغيب الناس بالمال أو بالهدايا أو بالأكل أو بالملابس أو بالمسليات تُعتبر كلها وسائل غير مشروعة. كذلك كل محاولة لاستخدام السلطان سواء كان سلطان الدين أو السلطان الزمني أو استخدام التهديد أو الوعيد أو استخدام العقوبة أو المقاطعة لإجبار الخاطئ على التوبة، فكل هذا السلطان يُعتبر عمل اغتصاب وسلبًا لمشيئات الناس واستعبادهم باسم الدين والكنيسة. وهكذا تكون كل محاولة لكسب الإنسان الخاطئ إلى الله بطريق آخر غير الكرازة والمناداة الحرة لتوبة إرادية حرة، تُعتبر خروجًا عن وسيلة الاختصاص في المسيحية.

(*) "الكنيسة والدولة.. الطائفية والتعصب"، متى المسكين، ص 29 – 31، طباعة دير الأنبا مقار.

والطائفية عند متى المسكين مفهوم به انخداع كبير لدى الإنسان، كما يراه، حيث يصور له أنه يستطيع تأمين مصالحه بشرط ألا ينفتح على الآخر، ومن هنا يتحول الخداع إلى اقتناع نفسي يتأصل داخل الإنسان. فالطائفية مرض يعترض النمو النفسي للفرد والجماعة، وبذرتها الأولى هي الفرار إلى الأمان النفسي وتأمين السلام الذاتي الذي يبدأه الإنسان طفلًا مع أمه ثم مع أسرته ثم - وهنا الخطأ الفادح - مع كنيسته، أي عقيدته. ولكن الكنيسة ليست الملاذ؛ ليست مكان تكتُّل لنتلافى فيه خسارة دنيوية أو نضمن فيه قيام وجود مشترك يضمن مصالح أرضية. بل على النقيض تمامًا. ففي الكنيسة نتعاهد أن نخسر كل شيء من أجل المسيح، ونحسب كل ما في العالم نفاية وخسارة من أجل فضل معرفته وحبه.

هنا يفسر متى المسكين رأي الكتاب المقدس في قضية الطائفية منطلقًا من أنه يجب أن نبعد الكنيسة ونبتعد بها عن التكتل الإنساني البشري(*)، فالطائفية كتكتل بشري مكانه الوحيد بعد الأسرة هو خارج الكنيسة حيث يمتصها الوطن، وهو المسؤول عن تفتيت الطائفية والتعصب والعمل على انفتاح الإنسان نحو الآخر مهما كان هذا الآخر.(**)

إزاء تلك الآراء والأفكار التي تمثل نهجًا مغايرًا في الفكر الكنسى، بدأت الخلافات تعرف طريقها إلى علاقة القمص متى المسكين والبابا

(*) لأب متى المسكين والبابا شنودة، تمايزات اللاهوت المصري، محمد توفيق، موقع إضاءات
(**) المرجع السابق.

شنودة، قبل أن يعتلي الأخير سدة كرسي مارمرقس، عام 1971 إذ اختلفا علـى مراجعة كتاب للقمـص متى عام 1961، كان قد عهد للبابا شـنودة بمراجعتـه إلا أن الأول لم يعتـد بملاحظة الأنبا شـنودة الذي كان آنذاك أسقفًا للتعليم.

وأكد البابا شنودة في فيديو مسجل له، أنه أرسل للقمص متى أكثر من مـرة ملاحظاته، إلا أن الأخير صمـم على طبع كتبه بنفس ما جاء فيها مما دفع البابا للرد على كتبه في محاضرات بالكلية الإكليريكية دون ذكر اسـم المؤلف، ثم وصف القمص متى في كتاباته بأنه "راهب أمين، لكن لا يدرك خطورة التعبير اللاهوتي الخاطئ".

ومنذ الستينيات، وحتى أوائل القرن الـ21، استمر الخلاف العقائدي بين كل من القمص متى والأنبا شـنودة، وكان أبرزها يدور حول مسألة "تأليه الإنسـان"، و"عقيدة الكفارة والمبادلة الخلاصية"، "النقد الكتابي والتشكيك في صحة أجزاء بإنجيل مرقس وبعض عبارات إنجيل متى"، و"دور الأعمال الصالحة في نوال الخلاص"، و"مفهوم الوحدة مع الطوائف الأخرى"، ومسائل أخرى.

وكان الأب متى المسـكين قد حصل على مجموعة كاملة لأقوال الآباء مُترجمة إلى اللغة الإنجليزيـة، فقرأها بنهَمٍ، فانطبع فكر الآباء على تفكيره، واصطبغت حياته بسِيَرِ قدِّيسي الكنيسة، فخرجت كتاباته لها طعم كتابات آباء الكنيسـة، دون الحاجة لذِكْر نصوص كثـيرة حرفية لهم، وآمن الأب

متى المسكين أنَّ الوحدة المسيحية يمكن أن تتحقَّق، ليس عن طريق الحوار بالدرجة الأولى، ولكن عن طريق قدِّيسي كلِّ كنيسة، الذين بصلواتهم وسيرتهم سوف يُلهِمون قادة الكنائس ما يُعينهم على إتمام الوحدة، وهو ما رفضه البابا شنودة وتياره الفكري.

وبلغ هذا الخلاف ذروته، حين تصادم البابا شنودة مع الرئيس السادات، حيث كان يقف القمص متى في صف الرئيس ويرى أن البابا مخطئٌ في تصعيده ضد الدولة حين قرر إلغاء الاحتفالات بأعياد القيامة وعدم استقبال المسئولين بسبب ما جرى في حادث الزاوية الحمراء التي قُتل فيها عشرات الأقباط بسبب فتنة طائفية، ثم تصاعد الصراع بين البابا شنودة والرئيس السادات وبلغ ذروته حين قرر الرئيس تحديد إقامة البابا وعدد من الأساقفة في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون عام 1981، وعقد السادات لقاءًا شهيرًا مع القمص متى المسكين، قال المسكين إنه حاول من خلاله تهدئة الأمور إلا أن البابا شنودة رأى أنه زادها تعقيدًا، وفقا لما ذكره كل منهما في مذكراته الخاصة التي نشرت عقب وفاتيهما.

فضلًا عن رفض البعض الآخر لتصريحاته عن عدم وجود اضطهاد للأقباط في مصر وغيرها من آراء كالتي وردت في كتاب "الكنيسة والدولة" للقمص متى المسكين، الذي تضمن حديثًا عن تدخل من "الكنيسة القبطية" في السياسة وهو أمر مرفوض بالنسبة لأفكار المسكين.

ومنذ 1981 استمر الخلاف وشبه القطيعة بين رأس الكنيسة وبين الأب متى، حتى جمعهما دير أبو مقار لساعات، وذلك حين زاره البابا شنودة عام 1996، قبل عشرة أعوام من رحيل متّى المسكين، تاركًا خلفه إرثًا من النقاشات والمؤلفات والأفكار التجديدية التي حملها تلاميذ كان منهم الأنبا إبيفانيوس الذي عاش 34 سنة في كنف الدير نفسه؛ الأنبا مقار.

في مسرح الجريمة

دير الأنبا مقار هو المسرح الذي شـهد أحداث الصراع بين "المسكين" البابا شـنودة، إذ قـرر الأول قضاء ما تبقى من حياتـه في هذا الدير بين لاميذه ورهبانه وذلك بعدما عاد البابا شـنودة للكاتدرائية وانتهت فترة ديد إقامته عام 1985 في بدايات عصر الرئيس مبارك.

كان دير القديس الأنبا أبو مقار أقرب للاستقلال فكريًا وإداريًا عن كنيسة، يرتدي رهبانه ملابس رهبانية مختلفة، يقرأون ويترجمون ويصدرون بًا تترجم لعدة لغات، ويعلن البابا شنودة خلافه معهم علنًا حين يجيب ن أسئلة في عظاته يقول في إحدى التسجيلات: "إن المحبة لا بد وأن كـون متبادلة وإنه قدم المحبة للديـر ورهبانه دون جدوى"، ثم بدأ البابا نودة الرد على كتب القمص متى المسكين في محاضراته بالكلية الإكليريكية، نخرط الأنبا بيشـوي مطران دمياط وكفر الشـيخ في سلسلة كتب للرد ل كتاباته متهمًا إياه بإفساد العقيدة.

وطوال عصر البابا شنودة كانت كتابات القمص متى المسكين ممنوعة كنسيًا، فلا تُباع في مكتبات الكنائس ولا توزع إلا في دير الأنبا مقار، حتى أن معرضًا للكتاب القبطي بالكاتدرائية قد شهد مصادرة الكنيسة لنسخ من كتب متى المسكين من جناح المعروضات بناءًا على توصية الأنبا موسى أسقف الشباب الذي كان ومازال مسئولًا عن هذا المعرض.

بينما كان البابا شنودة ينعم بشعبيته الجارفة لم يتوقف عن النيل من القمص متى المسكين في عظاته الأسبوعية بالكاتدرائية التي كان يفتح فيها الباب للإجابة على أسئلة شعب الكنيسة، إذ سأله أحد الحاضرين ذات مرة قائلًا: "لدي شوق للرهبنة وأفكر في الانضمام لدير الأنبا مقار بوادي النطرون فما رأي قداستك؟ فما كان من البابا شنودة إلا أن أجاب قائلًا: إن روحت هناك ستتعب وتخرج من الدير وترجع إلي مرة أخرى، فأحسنلك "دور على دير تانى وخدها من قصيرها"، "عدد الذين خرجوا من هذا الدير وعادوا إلي 52 واحد مكتوبين عندي بالاسم منهم من جاء سليمًا ومنهم من يُعالج في بيهمن ويقصد مصحة الطب النفسى بحلوان، أو لدى الدكتور النفسى رجائى دانيال ومنهم من أصبح مريضًا عقليًا ومنهم من ترك الرهبنة نهائيا ومنهم من لا أعرف له طريقًا، وفي منهم من هو عندي في دير الأنبا بيشوي، أنت يا ابنى وعلى رأى المثل ابحث عن الرفيق قبل الطريق، المسألة ليس بالمكان بل بالحياة".

كان دير الأنبا مقار يشكل صداعًا في رأس البابا شنودة باعتباره مقرًا للخارجين عليه يتتلمذون على يد خصمه اللدود، يقدمون آراءًا عقائدية

تختلف عما استقرت عليه الكنيسة وعما يريده هو أن يستمر باعتباره مصدرًا وحيدًا للاهوت فلم يستسلم لتلك الفكرة ولجأ لنظرية ذهب المعز وسيفه في التعامل مع هذا الدير، ويعترف أحد شيوخ الرهبان بدير الأنبا مقار ممن عاصروا القمص متى المسكين، بأن هناك طائفة من الرهبان تركت الدير بعدما لم يستطيعوا احتمال نظام الحياة الرهبانية الصارم الذي وضعه القمص متى المسكين مؤسس التيار الآبائي في الكنيسة، فالرهبنة وفقًا للراهب الشيخ هي رهبنة الكفن، وعلى طريقة رهبان القرون الأولى الذين كانوا يكتفون بكسرة خبز وبعض ماء تقيهم شر الموت، يعبدون الله في مغارات صحراوية يبحثون عنه في كل الدروب، يترجمون الكتب، ويصدرون الأبحاث ويتأملون فيما تركه الله لهم من نعم في الكون.

يقول الراهب الشيخ إنه صحيح هناك ما يقرب من 30 راهبًا غادرونا، منهم من ذهب إلى دير الأنبا بيشوي المجاور الذي كان يقيم فيه البابا شنودة ومنهم من ترك الرهبنة وهو أمر لا يعيب الدير في شيء بل يشرفه فالرهبنة ليست لكل أحد.

يشير الراهب الشيخ إلى ما كان يجرى من إغراءات للرهبان الخارجين عن طاعة القمص متى المسكين الأب الروحى لدير الأنبا مقار، "فقد كانوا يذهبون لدير الأنبا بيشوي ويوعدون بترقى لمناصب كنسية عليا أو برتب أسقفية أو بنيل درجات كهنوتية، وكلها أمور كانت بعيدة كل البعد عن حياتنا في دير الأنبا مقار، فقد كنا نبكى إذ رشحوا أحدنا للكهنوت إيمانا منا بالرهبنة دون منصب ودون حاجة لرتبة القس".

بعد وفاة القمص متى المسكين، تقدم عمر القمص كيرلس المقاري وكيل الدير "الربيتة" الذي كان مشرفًا على الدير، ورشحوا عددًا منا للرسامات "التعيينات" لرتب الكهنوت حتى يستطيعوا مساعدة "أبونا كيرلس" في الصلاة وإقامة القداسات فلا يحق للراهب أن يرأس قداسًا أو يمارس الأسرار المقدسة، وقد قَبِل أربعة من الرهبان تلك المناصب مرغمين وباكين وخائفين من بينهم الأنبا إبيفانيوس "شهيد الغدر".

في قوائم الرهبان الذين تركوا الدير وذهبوا لدير الأنبا بيشوي دلائل على صحة ما قاله الراهب الشيخ، الأنبا بسنتي أسقف حلوان والمعصرة كان راهبًا بدير الأنبا مقار دخل الدير عام 70 وغادره عام 82 وذهب إلى دير الأنبا بيشوي ثم تدرج في المناصب الكنسية فبعد عام واحد من انضمامه لدير الأنبا بيشوي ترقى لدرجة القس التي كانت شبه محرمة في دير الأنبا مقار، وبعد عامين صار أمينًا لدير الأنبا بيشوي رغم أنه أحدث المنضمين له من الآباء الرهبان، وبعد عام آخر انتدبه البابا شنودة للإشراف على كنيسة بجاردن سيتى، وفي العام الرابع أصبح مشرفًا على الكلية الإكليريكية، وفي العام الخامس انتدبه لكلية أخرى بالإسكندرية ثم رقاه البابا لدرجة قمص، ومنها إلى سكرتيره الخاص، وانتهى به المطاف إلى منصب أسقف حلوان والمعصرة.

لم يكن الأنبا بسنتي وحده الذي نال "ذهب المعز" تاركًا سيفه، فقد سبقه الراهب أغابيوس الذي كان يخدم مع الأنبا بسنتي في مزارع دير الأنبا مقار، ثم غادره إلى دير الأنبا بيشوي ومن هناك صار أسقفًا للسويس

باسم الأنبا أغناطيوس وتوفي منذ سنوات، وكذلك الأنبا مكارى أسقف سيناء والعريش الذي غادر الدير ليخدم كقس في المنيا وبعدها بسنوات ترقى لدرجة أسقف سيناء بعدما طلب منه البابا شنودة أن يقضي عامًا في دير الأنبا بيشوي وتوفي عام 2000.

أما الراهب شيرامون فقد دخل دير الأنبا مقار عام 1975 ثم غادره إلى دير الأنبا بيشوي وترقى هناك إلى درجة قس عام 1984 وظل ست سنوات حتى صار أسقفًا لقنا باسم الأنبا شاروبيم.

كذلك فإن الراهب موسيس الذي دخل دير الأنبا مقار عام 1975 وتركه عام 87 أصبح سكرتيرًا للبابا شنودة ثم أسقفًا عامًا باسم الأنبا يوحنا عام 1991، أما الأنبا إشعياء أسقف طهطا فقد سلك المسلك نفسه خرج من دير الأنبا مقار عام 78 قاصدًا دير الأنبا بيشوي وفي نفس العام ترقى لدرجة قس وفي العام التالي حصل على درجة قمص، حتى إذا جاء العام 80 أصبح أسقفًا لطهطا وحمل اسم الأنبا إشعياء، بينما انتدبه البابا شنودة للخدمة في أستراليا خلال عامي الترقيات.

فيما كان الراهب لاونديوس الذي انضم لدير الأنبا مقار عام 77 من التلاميذ النجباء الذين استطاعوا تعلم اللغة اليونانية كغالبية رهبان دير الأنبا مقار، حيث استقدم القمص متى المسكين مُدرسًا ليعلمهم لغة البحث في العلوم اللاهوتية، ثم غادر لاونيدوس ديره قاصدًا دير الأنبا بيشوي بعد ثلاث سنوات أي عام 80 وكلفه البابا شنودة بتأسيس إيبراشية قبطية في اليونان مستغلًا طلاقته في اللغة التي فهمها وكتب بها، وظل هكذا

يؤسس الكنائس ليصبح بعدها أول أسقف مصري في اليونان إلا أن وفاة البابا شنودة أجلت رسامته أسقفًا، وتم له ذلك بيد البابا تواضروس في بداية عهده عام 2013، وحمل اسم الأنبا بافلوس، وكذلك فعل الراهب بوليكاربوس الذي ترك الدير عام 86 بعد سبع سنوات وذهب للخدمة في اليونان مستغلًا اللغة التي تعلمها بين أسوار أبو مقار.

بعد ثلاث سنوات من وفاة القمص متى المسكين وتحديدًا في العام 2009، كان دير الأنبا مقار على موعد مع حدث جديد سيغير خريطته للأبد، فبعد وفاة القمص المسكين بثلاث سنوات، زار البابا شنودة دير الأنبا مقار في زيارة تاريخية، وأقدم لأول مرة في تاريخ الكنيسة الحديث على تغيير "الزى الرهبانى" لرهبان لدير "أنبا مقار"، ليتم توحيده مع بقية الأديرة، ليكون بمثابة الإعلان الختامى لانتهاء استقلالية دير "أنبا مقار"، عن الكنيسة، وتم تخيير الرهبان بين ارتداء غطاء الرأس التقليدي "القلنسوة المشقوقة" وبين الإبقاء على ملابسهم، فمنهم من ارتداها فصار تابعًا للبابا شنودة ومنهم من رفض، ثم قرر الأنبا ميخائيل مطران أسيوط والرئيس التاريخي للدير الاستقالة من منصبه إذ قيل وقتها إنه غير مرحب بقرار الكنيسة إنهاء استقلالية هذا الدير إداريًا وفكريًا عنها، وقد كان، فقد نجحت الكنيسة في السيطرة على أملاك الدير، ثم سيطرت على أغلب رهبانه أو أرغمتهم على الخضوع قبل حلول الذكرى الثالثة لرحيل المسكين بشهر.

كانت جميع إصدارات الدير والتي تعد بالآلاف طوال حياة متى المسكين تتصدرها صورة للمسيح وأسفلها التعليق التالى "الرب يسوع المسيح رئيس

الكهنة الأعظم، الأسقف الكبير ورئيس الأسقفية والأول في طغمة الكهنوت ورأس الكنيسـة" وهو تعليق مقصود به بـكل وضوح تبرير الامتناع عن نشر صورة البابا بوصفه رئيس الأساقفة، ثم صدر كتاب عن الدير لأول مرة عام 2009 تتصدره صورة البابا شنودة.

بعد تلك الزيارة بعدة أشهر، كتب القمص كيرلس المقاري الذي كان يتولى منصب وكيل الدير "الربيتة" عدة رسائل للبابا شنودة جاء في رسالة منها مؤرخة بيوم 2 أكتوبر عام 2009، "وصلتنا أخبار أزعجت نفوسنا أن قداستكم قررت تغيير شكل وحياة الرهبنة في دير الأنبا مقار، وكنا نتمنى أن قدومك إلينا سيثبت حياتنا الرهبانية التي استلمناها من أبينا القمص متى المسكين لمدة خمسين سنة، وعُرف في العالم المسيحى أن هذا الدير صار منارة للحياة الرهبانية الآبائية الأصيلة وفخرًا للكنيسة القبطية العريقة ولكل بلادنا المصرية، لقد تحول الدير الآن إلى ملعب لعمل الشـياطين وفقدنا السلام، وفي كل مرة تأتى إلينا، نسمع شائعات أن غبطتكم سوف تختار أسماء من رهبان مرفوضين شكلًا وموضوعًا فالبعض يحتاج لعلاج نفسى والبعض الآخر يسعى ليصل إلى رئاسة الدير وغبطتكم تعلمون جيدًا أن الذي يريد أن يكون الأول يجب أن يكون الأخير فما بال قداستكم في الحياة الرهبانية وفي دير شـبه مغلق، كيف يحتملون بعضهـم بعضًا حيث الجهاد الداخلي مطلوب مع التواضع الشديد وإنكار الذات حسب الوصية علما بأن النظام الرهباني في دير القديس الأنبا مقار يعتمد على المواهب فالذين يعملون في الزراعة يديرون أعمالهم بالاستعانة بدكاترة الأبحاث الزراعية والذين في

الإنشاءات وأعمال الصيانة يهتمون بالأعمال المطلوبة لخدمة الدير وهكذا في حظيرة البقر ومزرعة الدواجن فلهم دكتور خبير من الآباء".

"نتوسل إليك يا سيدنا أن تنقذنا من الخراب الآتي علينا، وماذا يكون الأمر هل يترأس الأب الجاهل في أي موقع على المتخصص؟ هل تريدهم يا سيدنا أن يحتكوا ببعضهم البعض؟ أليس هذا هدمًا للحياة الرهبانية؟ هل ترضى لدير الأنبا مقار مكان الصلاة الدائم أن ينهار في عهدكم؟ وهل توافق على رسامة رهبان الدير كلهم كهنة؟ رغم أن هذا لا يوافق سلوكك الأول في حياتك الرهبانية إذ كنت تغضب جدًا حين يعرضون الكهنوت على أحد الآباء؟ علما بأن المرسومين كهنة كانوا مطلوبين بالاسم من الأساقفة الأفاضل للخدمة معهم، فقد طلب الأنبا ميخائيل مطران أسيوط اثنين من الرهبان ليخدموا معه، وأنبا أرسانيوس مطران المنيا طلب اثنين ليخدموا معه وأنبا أنطونيوس مرقس طلب لإفريقيا أربعة رهبان ورسم اثنين للخدمة فكانت رسامة الكهنوت لهم للخدمة خارج الدير وليس لإغاظة وإثارة الحسد داخل الدير".

"أما زيارة الزوار فقد كانت في حدود هدوء الدير وسلامته هل ترضى يا سيدنا أن يتحول الدير من مكان صلاة وعمل إلى مكان من أجل النزهة؟، فنصف الزوار تقريبا أطفال يصرخون، غير السيدات اللاتى يجرين وراء الرهبان للاعترافات حيث كان ذلك ممنوعًا حتى يحتفظ الراهب بسلامة ضميره داخل قلايته، أما الجرائد فكان يتصفحها المكلفون بتسهيل أعمال الدير وينزلون إلى العالم".

"أنقذ يا سيدنا الحياة الرهبانية الفاضلة البعيدة عن المشاكل، الراهب إذا نـزل إلى العـالم ينزل لتدبير أمر هام ويرجـع مسرعًا إلى قلايته حتى لا تبرد محبته لله وتفسد رهبانيته"، متسائلًا: "هل يرضيك يا سيدنا أن يغيب الراهـب يوم واثنين وثلاثة وأربعة ولا نعرف أين ذهب؟، نحن لسـنا في سـجن نحن نحمل محبة هـذا الدير ومن لا يتحمله نوصلـه للدير الذي يحبه ويشـتاقه بسـيارة الدير ونعطيه المال اللازم حتى لا تتولد أية كراهية أو نفور بين الرهبان".

"الذيـن يأتون للحيـاة الرهبانية يعرفون أنهم أمـام طريق مغلق أمام الشـهوات ومراكز الكنيسة وأراحوا أنفسـهم من حروب قاتلة، ولماذا يا سـيدنا تريد أن تجعل كل الأديرة نظامًا واحـدًا مع أنه على مدى العصور كان كل دير يأخذ شكلًا خاصًا به، فرهبنة دير المحرق غير رهبنة القديس مكاريوس، غير رهبنة مارمينا، الحياة الرهبانية غير ملتزمة إلا بالمحبة".

"نرجوك يا سيدنا أن توقف تلك الشائعات المزعجة فنحن مازلنا نصلي من أعماق قلوبنا لكي يعطيك الرب حكمة سـليمان وأن يكون حضورك للدير عيدًا روحانيًا نفرح به، أنقذ يا سيدنا رهبانية هذا الدير العظيم، ولا تسمح بتخريب هذه الحياة لئلا يكون غضب الله علينا جميعًا".

بعد شهور من تلك الرسالة زار البابا شنودة دير أبو مقار مرة أخرى، ورسم (عين) دفعة جديدة من الرهبان تبلغ 10 رهبان، ورقى آخرين لدرجة القس، وفي صلوات طقس الرسـامة يعظ البابا شنودة في الرهبان المترقين

ويبرر الأسـباب التي دفعته لرسـامة كهنة في دير الأنبـا مقار فيقول "من ضمن الأسباب اللي خلتنى أرسم كهنة في دير أبومقار، إن إحنا نستخدم الكنائـس والمذابح الموجـودة في الدير، مش أصول يبقـى عندنا كل هذه الكنائس ومش لاقية حد يصلّي عليها، هنعمل جدول للصلاة في الكنائس دي"، كان حديث البابا محاولة لتفسير سبب إقدامه على تلك الخطوة، حيث كان رهبان دير الأنبا مقار يمتنعون عن المناصب الكنسية ولا يحبونها ولا يقربوها، بينما حصد من تبعوه ذهب المعز مرة أخرى.

تبرز ثلاثة أسـماء رئيسية في قائمة الـ20 التي رقى البابا شنودة 10 منها لدرجـة القس وأدخل الـ10 الآخرين للرهبنة، وهي القائمة التي تسـمى بالرهبان الشنوديين، بالإضافة إلى آخرين عاصروا القمص متى المسكين وكانوا دائمي الخلاف معه، لينقسم الدير بعد تلك الزيارة والترقيات إلى فريقي الرهبان المتاويين والرهبان الشنوديين ممن يصغرون تلاميذ متى المسكين سنًا، بالإضافة للمنضمين لهم من معارضى متى المسكين في حياته.

يظهر اسـم إشـعياء المقاري الذي أُدخل للرهبنة عـام 2010 بيد البابا شنودة على رأس قائمة الرهبان الشنوديين، وهو المتهم الرئيس بقتل الأنبا إبيفانيوس، يليه شريكه في القضية نفسـها الراهـب فلتاؤس المقاري، ثم يأتى القس يعقوب المقاري الذي تم تجريده من الرهبنة بعدما أسس ديرًا بتكليف من البابا شنودة واستقل به عن الكنيسة عقب وفاة البابا الراحل حين رفض الانصياع والطاعة للجان الكنسـية المتعددة التي أرسلت له، بالإضافـة إلى زينون صاحب الوفاة الغامضة في الدير المحرق بعد نقله له

وقد كان ممن ترقوا لدرجة القسيس جوار يعقوب وفي نفس الصلاة.

أثناء حركة الترقيات تلك، نما إلى علم، الأنبا ميخائيل مطران أسيوط الذي كان يرأس الدير تلك الأخبار، وشعر أن رئاسته للدير لا قيمة لها بعد استيلاء البابا شنودة عليه وتقسيمه بهذا الشكل، فما كان منه إلا أن قدم اعتذارًا عن رئاسته للدير مكتفيًا بخدمته كمطران لأسيوط خاصة وأنه لم يبرح إيبراشيته طوال مدة خدمته فلم يسافر كباقي الأساقفة للعلاج خارج مصر، وغاب كثيرًا عن جلسات المجمع المقدس لظروفه الصحية، إلا أن الرهبان عادوا وتوسلوا إليه ألا يتخلى عن الدير تمامًا وأن يحاول إصلاح ما جرى وظل الأمر معلقًا هكذا حتى توفي البابا شنودة وجاء البابا تواضروس إلى سدة كرسي مارمرقس مقررًا أن ينتخب رئيسًا جديدًا للدير الأزمة.

عام 2013، قرر البابا تواضروس تعيين أساقفة جدد، وكان الأنبا ميخائيل رئيس دير الأنبا مقار في أيامه الأخيرة بدأ في التسعينات من عمره، جلس البابا تواضروس مع رهبان الدير أكثر من مرة ليختار رئيسًا لهم، وكانت الانقسامات قد بلغت حدًا واسعًا بين مدرستي متى المسكين والبابا شنودة.

ترشح لرئاسة الدير ثلاثة من الآباء الرهبان، قال البابا وقتها، إن المرشحين الثلاثة كانوا من بين اختيارات الرهبان، إلا أن القليل من البحث يكشف أنهم من اختيارات البابا نفسه، ثلاثة أسماء من الرهبان الشيوخ "الراهب

إبيفانيوس المقاري" والراهب إيسيذوروس، والراهب بترونيوس".

الراهب إيسوذوروس المقاري، على سبيل المثال، كان الرجل الذي فوضه البابا وكلفه بدور المرشد الروحي لأزمة دير "وادي الريان بالفيوم" التي شغلت الرأي العام المصري والكنسي، طوال العامين الماضيين.

وهكذا ترشح لرئاسة الدير ثلاثة من الآباء من مدرسة متى المسكين، سكان الدير الأصليين، الذين إن حظوا بالعلم والقبول، فلن يتمكنوا من فك الألغام المزروعة في الدير كنتيجة للصراع القديم ما بين البابا شنودة والقمص متى المسكين.

حصل الأنبا إبيفانيوس على غالبية أصواتهم مثلما ذكرت الكنيسة رسميا، إلا أن مصادر من آباء الدير تؤكد أن الأنبا إبيفانيوس قد حصل على غالبية أصوات الآباء المنتمين لمدرسة متى المسكين الرهبانية وليس كافة آباء الدير الذين امتنع عدد غير قليل منهم عن التصويت لأي من الأسماء الثلاثة المطروحة.

كان أول ما أوصى البابا تواضروس به الأنبا إبيفانيوس وقت رسامته "لم شمل الدير" بعد تلك الخلافات التي استمرت من 2009 وحتى 2013.

الأنبا إبيفانيوس.. الأسقف المغدور

في العـام 1984، حين بدأ الأنبا إبيفانيـوس حياته الرهبانية، كان البابا شـنودة بطريرك الأقباط آنذاك قيد الاعتقال في دير الأنبا بيشـوي بوادي النطرون، حين قرر الطبيب الشاب الذي صار بعد ذلك القس إبيفانيوس الانضمام لحركة التعمير الرهبانية التي قادها القمص متى المسكين في الفترة من عام 1969 وحتى وفاته عام 2006 وهي نفس الفترة التي شهدت الخلاف التاريخي الشـهير بين البابا شنودة والقمص متى المسكين بعدما استدعى الرئيس السادات الأخير ليعرض عليه منصب البابوية في غضون خلافه مع البابا شنودة.

كان دير الأنبا مقار المعروف باسـم "أبو مقار" ببرية شيهيت، متروكًا خاليًـا مـن رهبانه إلا قليلًا فلم يكن فيه الكثير مـن الرهبان ومباني الدير كانت توشك أن تتساقط، في تلك الفترة قصد الأنبا إبيفانيوس الدير راهبًا يكتب ويؤلف ويتعلم من القمص "المسكين" الذي أعاد إحياء الرهبنة في

الديـر من جديد، و كانت حركة الترجمة مـن كافة اللغات الأوروبية، قد أخذت طريقها إلى الدير الذي يضم مطبعة لا تتوقف عن العمل، بفضل نشاط رهبانها وتفقههم في أمور الدين، وتواصلهم مع الكنائس الأخرى وباللغات المختلفة.

عُرِف الأنبا إبيفانيوس بحسن تلمذته، فقد كان يشرف طوال خدمته على مكتبة المخطوطات والمراجع بكل اللغات في الدير، وهو من الباحثين النشيطين بالدير، وقد نشرت له مطبعة الدير أوائل إنتاجه العلمي: ترجمة من اليونانية القديمة للعربية: سفر التكوين، والقداس الباسيلي، وسفر الخروج، والقداس الغريغوري، والكتاب التاريخي القديم "بستان الرهبان".

في العام 2006 غادر القمص متى المسكين إلى دار الآخرة، وظل الدير يخضع لإشراف المطران الأنبا ميخائيل مطران أسـيوط، واستمر الوضع كذلك حتى إذا جاء العام 2013 كان المطران قد تعب من مقاومة أمراض الشيخوخة وتقدم في العمر حتى بلغ الـ93 وزادت مشاكل وأعباء الدير، فجدد طلبه القديم وكتب للبابا تواضروس الذي كان قد وصل لتوه لكرسى البطريـرك وقتها، أن يعفيه من مهـام الإشراف على الديـر البعيد عن مقر إقامته بأسيوط، وأن يوكل المهمة لأحد الآباء من رهبان الدير.

في يوم الأحد الثالث من فبراير من العام 2013، كان الأنبا إبيفانيوس على موعد جديد مع الخدمة الكنسية، سيقرر الدير أن يجري اقتراعًا سريًا لانتخاب رئيس له، وكان الأنبا إبيفانيوس مرشحًا للمنصب مع اثنين من

إخوته الرهبان، الراهب إيسيذوروس، والراهب بترونيوس وبناءًا على نتيجة الاقتراع أعلن البابا تواضروس أن الأب الراهب القس إبيفانيوس المقاري قد حصد ثقة إخوته الرهبان بأغلبية الأصوات، وحظى هذا الاختيار بقبول ومباركة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير منذ حوالى 65 عامًا، وذلك بتزكية مكتوبة استلمها الراهب إبيفانيوس باليد من الأنبا ميخائيل، وسَلَّمها بدوره إلى البابا تواضروس.

عام 2016 احتفى دير كاثوليكى شهير في إيطاليا بذكرى الأب متى المسكين وبالتغيير الذي أحدثه في تاريخ الكنيسة القبطية ومستقبلها، وألقى الأنبا إبيفانيوس كلمته إذ اعتبر أن كتابات الأب متى المسكين قد أحدثت تغييرًا ملحوظًا بمجال التعليم في الكنيسة القبطية، مُرجعًا السبب الحقيقى وراء هذا التغيير، إلى أنَّ الأب متى المسكين لم يتتلمذ على اللاهوت القبطى المعاصر أو المستحدث الذي كان منتشرًا في ذلك الوقت؛ إذ أنه بتدبيرٍ إلهى، حسب تعبيره، حصل على مجموعة كاملة لأقوال الآباء مُترجمة إلى اللغة الإنجليزية، فقرأها بنهَمٍ، فانطبع فكر الآباء على تفكيره، واصطبغت حياته بسِيَر قدِّيسى الكنيسة، فخرجت كتاباته لها طعم كتابات آباء الكنيسة الأوائل، وهو الخطاب الذي أثار جدلًا واسعًا بين أوساط التيار الكنسي المتشدد وقتها.

لم تمنع شئون رئاسة الدير، الأنبا إبيفانيوس عن شغفه بالبحث العلمي والكتابة والتأليف فقد ظل حريصًا على ذلك يحاضر في مؤتمرات هنا ويقدم

أوراقًـا هناك، وكان آخر ما حضره مؤتمر التراث العربي المسـيحي بكلية اللاهوت الإنجيلية في أبريل 2018، وقدم ورقة بحثية فيه.

في مايـو 2018، حيث عقد اجتـماع المجمع المقدس الأخير للكنيسـة القبطيـة، وهو المجمع الذي شـهد قرارات تاريخيـة وتغييرات هيكلية في المناصب الكنسـية قد تؤثر على مسـتقبل الكنيسـة إيجابًـا وعلى علاقاتها بالكنائـس الأخرى، كان الأنبا إبيفانيوس على موعد مع منصب كنسـي جديـد إذ عينـه البابا تواضروس مراقبًا للجنة البابويـة للحوار إيمانًا من البابا بقدرات "إبيفانيوس" ومدرسـة متى المسكين الرهبانية في التقارب مع الكنائس الأخرى إذ كان الأب متى المسـكين أول من قرأ كتابات آباء الكنائس الأخرى وعلى يده بدأت حركة ترجمة كتابات القديس غريغوريوس الكبير، والقديس يوحنا الدمشقي، والقديس ساروفيم ساروفسكي، مما فتح للأقباط نافذة جديدة على المسيحية العالمية، وغيّر نظرة الأقباط لتلك الكنائس من العداء إلى القبول والمحبة.

كان الأنبا إبيفانيوس، أسقفًا مختلفًا بحق فقد كان يكتفي بارتداء جلباب أسود وشـال فوق رأسـه، دون أن يمسـك عصا الرعاية التي تميز الآباء الأساقفة، يرفض أن يدخل الكنيسة على اللحن المخصص للأسقف، وهو يخشى أن تثير تلك المظاهر في نفسه مشاعر العظمة فتبعده عن رهبانيته التي ارتـضى فيها بحياة الفقر الاختياري، لم يكن الأنبا إبيفانيوس كالأسـاقفة الذين يرتدون الملابس الفخمة ويركبون السـيارات الفارهة، يأكلون من

تبرعات شعب الكنيسة ويسيرون بين الناس بزهو ملحوظ، فقد كان يترفع عن عادة تقبيل الأيدي التي يقدمها الأقباط طوعًا لكل القساوسة فما بالنا بالأساقفة، بل ويرفض أن يناديه تلاميذه بـ"سيدنا" وهو اللقب المخصص للأساقفة مكتفيًا بقول "أنا أبونا إيبفانيوس"، إلى جانب خدمته في الدير كان الأنبا إيبفانيوس يُدرِّس دبلومة التراث العربي المسـيحي بكلية اللاهوت الانجيلية وهي الدبلومة التي يُسمح فيها بالدراسة للمسلمين والأقباط معًا وقد حظي بمحبة واحترام الجميع لعلمه الغزير وتواضعه المفرط وسماحته الملحوظة حتى أن خبر وفاته قد أبكى قيادات الطوائف المسيحية الأخرى وليس الأرثوذكس وحدهم بعدما ذهب الرجل الذي كان يمثل لهم أملًا دائمًا ومتجددًا في التقارب الفكري تحت اسم كنيسة المسيح الواحدة.

الجريمة

ما بين الثالثة والرابعة صباحًا، كان الأنبا إبيفانيوس مستلقيًا في قلايته "سكن الرهبان"، يستعد للخروج ليترأس صلاة تسبحة الأحد فجر التاسع والعشرين من يوليو 2018، ثم وضع شـاله الأسود فوق رأسه وعَدل من وضع جلبابه وارتدى حذائه، وغادر في طريقه إلى الكنيسة وبينما كان يمشي مشيته الهادئة، استقبلت رأســه ثلاث ضربات قاتلة من الخلف، هشمت جمجمته وقسمتها نصفين نصفين حتى أن مخه سقط على الأرض إلى جواره بينما خَضّب الدم جلبابه الأسود.

بعدها بدقائق، خرج أحد الرهبان من قلايته ليشارك في صلاة القداس ليجد الأنبا إبيفانيوس غارقًا في دمائه، فصرخ واستدعى بقية الرهبان الذين حاولوا نقل الأسـقف المغدور إلى عيادة الدير إلا إنه كان قد فارق الحياة فعملوا على نقل جثته إلى هناك، وبدأوا في الاتصال بالبابا تواضروس.

في البداية، تسرب خبر وفاة الأنبا إبيفانيوس لصفحات مواقع التواصل الاجتماعي وبدأ الأقباط ينعونه منذ التاسعة صباحًا إلا أن بعض رهبان الدير كانوا يميلون في البداية للتغطية على أمر الحادث حتى أن أحدهم قال إن الأسقف سقط وتعرقل في "ترابزين السلم" وتوفي في الحال، إلا أن بعضهم قد أبلغ البابا تواضروس الذي كان وقتها في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون وقرر إرسال سكرتيره القس إنجيلوس إسحق لمقر الدير على الفور، بينما تواصل البابا مع السلطات المختصة وطلب التحقيق في الأمر دون تهاون.

هزت جريمة الدير الكنيسة كلها، وبعد ساعات من مقتله بدأ الآباء الأساقفة التوافد على مقر الدير للاطمئنان على الموقف والاستعداد لصلوات الجنازة بينما وصل رجال الأمن والنيابة والمباحث وأغلقوا الدير مانعين الخروج منه أو الدخول إليه وبدأت سلسلة موسعة من التحقيقات مع 145 راهب بالدير استغرقت أسابيع حتى تم الإعلان عن أسماء الراهبين المتهمين.

الجنازة الحارة

صباح الثلاثاء الواحد والثلاثين من يوليو، كانت مصلحة الطب الشرعى قد انتهت من تشريح جثمان الأنبا إبيفانيوس، وأرسلته إلى دير الأنبا مقار ليدفن هناك، وانتقل البابا تواضروس من دير الأنبا بيشـوي إلى دير الأنبا مقار ليودع صديقه ومستشـاره القريب الأنبا إبيفانيوس في صلاة جنازة مهيبة، إلا أن الدير اضطر إلى غلق الصندوق دون تقليد نظرة الوداع الكنسي الذي يودع فيه شـعب الكنيسة المتوفى إذا كان من ذوي المناصب الكنسية ويطلبون منه البركـة، ظروف التشريح لم تترك في جثمان الأنبا إبيفانيوس ما يصلح للوداع.

كانت علامات الحزن والتأثر قد كست وجه وملامح البابا تواضروس الذي شـهد عصره أكبر وأخطر جريمة اغتيال داخل أسـوار الكنيسة في العصر الحديث، وقد أخذ في تقبيل صندوق الأنبا إبيفانيوس بعيون دامعة،

إلا أن البابا استغل فرصة الجنازة وقرر في عظته توجيه عدة رسائل لأطراف متعددة.

ظهر صوت البابا مرتعشًا من أثر الحزن والبكاء حين قرأ أناجيل الصلاة، حتى إذا جاء دوره في الوعظ أثناء الصلاة اعترف باهتزازه شخصيًا وقال: "أمام هذا المصاب الجلل لا يهتز إيماننا بالله ضابط الكل، هو الذي يضبط الحياة وهذا المصاب هزنى أنا شخصيًا، والأنبا إبيفانيوس نموذج مشرق، فقد كان كوكبًا مضيئًا، وهو أول أسقف يُقام في عهدي، كنت أسترشد به كثيرًا في قراراتي فقد كان غزير المعرفة ولم تكن معرفته سطحية في كل دراساته وحياته والمخطوطات التي يحققها كان عميق المعرفة وكنت أكلفه بحضور المؤتمرات ليمثل الكنيسة فقد كلفته بـ20 مؤتمرا في 5 سنوات ليمثل فيها وجه الكنيسة القبطية ويمثل مصر واستضاءت بمعرفته الأرض، فقد كان غزير المعرفة يقيم حلقات دراسية للرهبان والراهبات ويتعلم الآباء الكثير منه ويرشدهم ويجيب على الأسئلة وجعل المعرفة في متناول كل الناس، فقد كان نموذجًا وقامة واحتل هذه المكانة وكان يشرف الكنيسة القبطية أمام كنائس العالم"، "أنتج كتبًا كثيرة وطبعها الدير في مجالات معرفية مختلفة، زرت هذا الدير بعد تعيينه وقضيت يومًا في رحاب الآباء الأحباء ونفتخر بهذا الدير، قلما نجد هذا النوع من الآباء الأساقفة، وكان يتمتع بالبساطة في ملبسه ومسكنه وطعامه فقد كان بسيط الحياة جدًا وكان يفضل الجلوس في الصفوف الأخيرة".

"خسرناك فعلًا ولكن اسمك الذي مستمد من النور سيظل نورًا في المجمع المقدس واسـمك سـيظل خالدًا وطوبى لهـذا الدير الذي أنجب هذه الشـخصية المباركة الدير الذي أنجب قديسـين وأسـاقفة"، أشهد أمام الله وأمامكم أن هذا النموذج رفيع في الحياة الروحية، وقد كان طبيبًا متميزًا وهادئًا ودخل إلى الدير في عمر الثلاثين وتتلمذ على يد الآباء وصار محبوبًا بينهم".

"لم تدم أسـقفيته إلا خمس سـنوات لكنه قدم الكثـير، فإن لم نتعزى ونتعلم من هذا الإنسـان الملائكي الذي أهدته لنا السـماء فسـوف نخسر كثيرًا".

وخاطب البابا الرهبان قائلًا: "أتمنى لكم السلام في الدير أنتم تنتمون للكنيسة القبطية وليس لأحدٍ آخر، أنتم تنتمون للقديس الأنبا مقار الكبير، واخرجوا من بينكم أي انحراف بعيدًا عن الرهبنة، وننتظر نتائج التحقيقات فلم نصل لشيء، وعلى أنه رغم مرارة الألم، لكننا نرفع أيدينا للسماء التي فيها راحتنا، محذرًا الآباء الرهبان من الظهور الإعلامي بأي صورة من الصورة قائلًا: "لقد انقطعتم عن العالم فلا تعودوا بأي صورة من الصور".

عقب القداس تقدم البابا تواضروس زفة الرهبان التي اقتادت الأنبا إبيفانيوس حتى قبره، وقرأ البابا تواضروس الوصية التي تركها الأسقف الراحل وجاء فيها: تركها الأسقف لتلاميذه وإخوته من الرهبان وجاء فيها:

لا تتوانوا عن خدمة الله

اتعبوا في الصلاة

احفظوا ألسنتكم من الوقيعة

أطلب إليكم يا أولادي الأحباء

احفظوا أجسادكم طاهرة للرب ولا تتركوا مصابيحكم تنطفئ

واصنعوا مخافة الله في قلوبكم

الله يشهد إني لم أخف شيئًا عنكم من علم الله

اسألوا المسيح ألا يحاسبني على الزلات

وها أنا الآن رحلت عنكم ولم أعد أرى وجوهكم وصلوا من أجلي في القداسات، وأسال المسيح أن يقيم لكم راعيًا يسوس أموركم ويرعاكم".

قرارت البابا الغاضبة

بعد دفـن الأنبا إبيفانيوس، كان الغضب قد بلغ مـن البابا حدًا كبيرًا فاسـتدعى لجنة شـئون الرهبنة التي تدير أمور الرهبنة والأديرة بالمجمع المقدس وقرر إصدار عدة قرارات حاسـمة عرفت باسم القرارات الاثنا عشر لضبط الرهبنة، وقد رأى البابا أن الرهبنة القبطية قد شابها حالة من التسيب أبعدتها عن جوهرها الأصلي وذهبت بها لمآلات غامضة.

وقد كانت تلك القرارات كالتالى:

1 - وقف رهبنة أو قبول إخوة جدد في جميع الأديرة القبطية الأرثوذكسية داخل مصر لمدة عام يبدأ من أغسطس 2018 م.

2 - الأماكن التي لم توافق البطريركية على إنشائها كأديرة سيتم تجريد من قام بهذا العمل من الرهبنـة والكهنوت والإعـلان عن ذلك، مع عدم السماح بأي أديرة جديدة إلا التي تقوم على إعادة إحياء أديرة قديمة، ويتم

ذلك من خلال رعاية دير معترف به (عامر).

3 – تحديد عدد الرهبان في كل دير بحسب ظروفه وإمكانياته وعدم تجاوز هذا العدد لضبط الحياة الرهبانية وتجويد العمل الرهباني.

4 – إيقاف سيامة الرهبان في الدرجات الكهنوتية (القسيسية والقمصية) لمدة ثلاث سنوات.

5 – الالتزام بعدم حضور علمانيين "الشعب" على الإطلاق في الرسامات الرهبانية لحفظ الوقار والأصول الرهبانية الأصيلة.

6 – تستقبل الأديرة الزيارات والرحلات طوال العام باستثناء فترة صوم الميلاد والصوم الكبير فتكون أيام (الجمعة والسبت والأحد) فقط من كل أسبوع، والتحذير من زيارة الأماكن غير المعترف بها وهي مسئولية الإيبارشيات والكنائس.

7 – الاهتمام والتدقيق بحياة الراهب والتزامه الرهباني داخل الدير واهتمامه بأبديته التي خرج من أجلها ودون الحياد عنها.

8 – كل راهب يأتي بالأفعال التالية يعرض نفسه للمساءلة والتجريد من الرهبنة والكهنوت وإعلان ذلك رسميًا:

أ– الظهور الإعلامي بأي صورة ولأي سبب وبأي وسيلة.

ب– التورط في أي تعاملات مالية أو مشروعات لم يكلفه بها ديره.

ت- التواجـد خارج الدير بدون مبرر والخروج والزيارات بدون إذن مسبق من رئيس الدير.

9 - لا يجـوز حضور الأكاليل والجنـازات للرهبان إلا بتكليف وإذن رئيس الدير بحد أقصى راهبين.

10 - إعطاء الرهبان فرصة لمدة شهر لغلق أي صفحات أو حسابات على وسـائل التواصل الاجتماعى والتخلي الطوعى عن هذه السلوكيات والتصرفات التي لاتليق بالحياة الرهبانية وقبل اتخاذ الإجراءات الكنسية معهم.

11 - مناشـدة جموع الأقباط عدم الدخـول في أي معاملات مادية أو مشروعـات مع الرهبان أو الراهبات وعدم تقديـم أي تبرعات عينية أو مادية إلا من خلال رئاسة الدير أو من ينوب عنهم.

12 - تفعيل دليل الرهبنة وإدارة الحياة الديرية الذي صدر من المجمع المقدس في يونيو 2013 وهي مسئولية رئيس الدير ومساعديه.

لم تكن قرارات البابا تواضروس الغاضبة تلك إلا جزءًا من ورقة تقدم بهـا الأنبا إبيفانيوس إلى مؤتمر الرهبنة عـام 2013 وصدرت ضمن كتيب المؤتمر، فقد كان يرى ضرورة إصلاح الرهبنة حتى إنه اجتمع بتلاميذه من رهبان دير الأنبا مقار بعدما تقدم بتلك الورقة وقال لهم:

"إذا اقتنعنا أن هذا مرض فالعلاج في يدنا جميعًا الكهنوت أو الأموال أو التعاملات زيادة"، ويقصد الاختلاط بالعالم الخارجى، ونطالب كرهبان الكنيسة ببدء حياة جديدة "اللي حصل حصل، كرهبان شربنا كلنا من نفس الكأس ورسمونا كلنا كهنة" ما ذنب الأجيال القادمة، ونبدأ حياة جديدة ونبدأ طقسًا جديدًا كفاية اللي حصل".

"نبدأ في بعض الأديرة الجديدة حياة رهبانية صحيحة، ونحن سنُغيّر منكم ونقلدكم وما تم قد تم"، اترسمنا كلنا كهنة نشكر الله ولكن ليه نشرب اللي بعدنا كاس المر اللي شربناه، العلاج في يدنا جميعًا نبدأ حياة رهبانية مع الله بداية من قداسة البابا بتشجيع العودة للأصول الأولى للرهبنة وأعتقد أن كلمة سيدنا البابا أمس بها كل ما نحتاجه من علاج لهذه الأخطاء".

يمكن إصدار قرارات حكيمة ومركزية نخضع لها جميعًا كرهبان لإصلاح مسيرتنا، أتمنى أن سيدنا البابا يوقف رسامة الكهنة فإذا تساوى الرهبان جميعًا دون رسامات لن تشعروا بالمشكلة صدقونى".

"في دير أبو مقار عشنا 40 سنة بلا كهنوت ولم يكن لدينا مشكلة صدقونى، ولم نحارب بالكهنوت وكنا فرحين جدًا وإن كانوا يضغطوا على راهب لرسامته قس مكنش بيصلى، رسمونى قسيسًا غصب عني وبكيت بالدموع أمام المسيح وأقول مش هترسم".

"وقالولى أبونا متى بيغضب عليك لازم تترسـم، وقلت مش هصلى قداسـات لغايـة مـا أبونا كيرلـس المقاري نظـره ضعف جدًا وشـعرت بمسـئولية أمام المسيح فابتديت أطبع له الخولاجى (كتب الصلاة) بخط كبير كي يسـتطيع أن يقرأ وكنا فرحانين ولكن لما بدأ الكهنوت في الزيادة كلنا حاربونا بالكهنوت".

واستشهد بالآية إن لم تبصر لن تشتهى: "لو مشوفناش الكهنوت مش هنشتهى"، مضيفًا "لكن احنا شوفناه وبقى في حرب جوا الدير عندنا الكل عايز الكهنوت".

"محتاجين قرارات مركزية وحكيمة نخضع لها جميعًا من قداسة البابا مرورًا بالآباء رؤسـاء الأديرة والآباء مسئولي الأديرة، والرهبان أنفسهم والخائفين على نقاوة حياتهم الرهبانية".

كان قرار الكنيسة الأول الذي أعلن فيه البابا تحديد عدد الرهبان في كل دير بمثابة انقلاب على تقاليد قديمة بغية إصلاح ما رسبه الزمن من التغيرات ففي الحياة الرهبانية، ينتسب الراهب إلى ديره ويتسمى باسمه فيصير الدير لقبه، على سبيل المثال يحمل رهبان دير أبو مقار أسمائهم القبطية بعد الرهبنة واللقب المقاري، الأنبا إبيفانيوس يحمل لقب إبيفانيوس المقاري، إذ كان راهبًا في دير أبو مقار أما البابا شـنودة فكان يسـمى أنطونيوس السرياني لأنه من أبناء دير السريان، وهكذا إلا أن قرارات الكنيسـة الجديدة تعني أن هناك حركة انتقالات بين الأديرة القبطية إذ يعني تحديد عدد الرهبان في

كل دير، أن بعض الرهبان سوف يغادرون أديرة ويقيمون بأخرى، ولعل دير القديس الأنبا مقار هو أحد أهم الأديرة المستهدفة من القرار فسيفض البابا تواضروس الخلافات القائمة بالدير، التي لم ينجح معها الحوار، تعمل الكنيسة على تغيير مواقع الرهبان بالدير الأزمة، عن طريق إرسالهم لأديرة أخرى، واستقبال آخرين بدلا منهم، خاصة وأن بعض القرارات التي اتخذتها لجنة شئون الأديرة كانت من بين التحذيرات التي أطلقها البابا تواضروس في جنازة الأنبا إبيفانيوس حين قال للرهبان "أخرجوا الانحراف من بينكم، أنتم لستم تابعين لأحد بل تتبعون القديس مقار، وكفوا عن الظهور في الإعلام"، وهو ما تقرر رسميًا، وبدأ البابا تطبيق تلك القرارات بتوزيع ستة من رهبان دير أبو مقار على بعض أديرة الوجهين البحري والقبلي.

أما القرار الثاني الذي منعت فيه الكنيسة الرهبان من جمع التبرعات، فيعود إلى تفشي تلك الظاهرة في السنوات الأخيرة بالشكل الذي جعل راهبًا يتمكن من جمع تبرعات بالملايين لتأسيس أديرة، وفى تلك القضية يظهر اسما "يعقوب المقاري" و"مرقس المقاري"، إذ أعلن الأنبا إبيفانيوس في بيان له نشر بمارس عام 2015 عن عدم مسئولية الدير عن أي تعاملات مالية أو تبرعات يجمعها الراهب يعقوب المقاري الذي تم تسريحه من الدير.

تعود قصة الراهب يعقوب المقاري إلى سنوات الفراغ التي عاشها دير الأنبا مقار بلا رئيس أو أب روحي، حيث انخرط "يعقوب" في جمع

تبرعات لإنشاء دير باسم السيدة العذراء والأنبا كاراس بوادي النطرون وقد نجح في إنشـاء أجزاء كبيرة منه بالفعـل، حتى أكد البابا تواضروس أن الكنيسـة لا تعرف ديرًا بهذا الاسـم وأن هذا الدير غير تابع لها إداريًا ولا كنسـيًا محذرًا جموع الأقباط من التبرع له، وهو ما يفسر القرار الأول للبابا ونصه "الأماكن التي لم توافق البطريركية على إنشـائها كأديرة سيتم تجريد من قام بهذا العمل من الرهبنة والكهنوت والإعلان عن ذلك ، مع عدم السماح بأي أديرة جديدة إلا التي تقوم على إعادة إحياء أديرة قديمة، ويتم ذلك من خلال رعاية دير معترف به (عامر)".

في أكتوبر 2017 أصدر دير أبو مقار بيانًا موقعًا من رئيسه الأنبا إبيفانيوس يعلن فيه أن الدير، لم يكلف المدعو "مرقس المقاري" بجمع تبرعات، مؤكدًا أن الدير ليس له مندوبون أو كلف مندوبين سواء من الرهبان أو العلمانيين يجمع تبرعات، لتلتصق قضية جمع التبرعات بدير أبو مقار من جديد.

أما قرار غلق صفحات الفيس بوك الخاصة بالرهبان فهي محاولة للعودة بالرهبنة لجذورها حيث تعرف الرهبنة بالموت عن العالم وحياة الفقر الاختياري، ففي طقوس رسامة الرهبان، يُدفن الراهب وتُصلى عليه صلاة الأموات وتنقطع صلته بحياته السـابقة ليبدأ حياته مع الله، يتغير اسـمه الذي ولد به ويتخذ اسـمًا قبطيًا أو يونانيًا، يصبح لقبه مشـتقًا من اسـم الدير الذي سيقضي فيه بقية حياته، فيه يعيش وبمقابره يدفن، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت نشاطًا ملحوظًا للآباء الرهبان على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو

ما يضرب مبدأ أساسيًا في الرهبنة وهو "الموت عن العالم"، يعود الراهب عبر صفحته على الفيس بوك إلى العالم مرة أخرى، يتواصل مع أقاربه أو أصدقائه أو حتى رعيته عبر التكنولوجيا، يعلق ويشارك ويتناقش فتتجرد الرهبنة من جوهرها وتنتفي عنها صفة العزلة.

أما التحذير الذي وجهه البابا للرهبان أثناء جنازة الأنبا إبيفانيوس حين قال لهم "كفوا عن التواصل مع الإعلام أنتم رهبان اخترتم الحياة مع الله"، فلقد تحول التحذير الشفوي إلى قرار مكتوب قد يُعرِّض الراهب للتجريد من رتبته الرهبانية في حال ثبت تواصله أو تفاعله مع وسائل الإعلام، حيث انخرط رهبان دير الأنبا مقار بعد الحادث في المداخلات التليفونية على الفضائيات وصرحوا للصحف مما دفع البابا لتحذيرهم بل وتهديدهم.

وقد كان للرحلات إلى الأديرة أيضًا نصيب من قرارات الكنيسة، والأمر يتعلق أيضًا بالعودة لجوهر الرهبنة، في السنوات الأخيرة شهدت الأديرة نشاطًا غير مسبوق للرحلات القبطية التي تعتبر من أهم مصادر دخل الدير، إلا أن تلك الرحلات التي تزحم كنائس الأديرة وساحاتها بالنساء والأطفال والشباب، تُخرِج الرهبان عن تركيزهم في حياة الوحدة مع الله التي خرجوا لأجلها إلى الصحراء، فأصبحت أديرة قديسي القرن الرابع التي انطلق منها قطار الرهبنة ليغزو العالم، مجرد أماكن للتنزه وقضاء الإجازات، دون النظر إلى قداسة تلك الأماكن ودلالاتها الروحية.

من بين قرارات الكنيسة الحاسمة أيضًا، التوقف عن استقبال رهبان جدد لمدة عام، ووقف الترقيات بين الآباء الرهبان لرتب الكهنوت "القسيسية والقمصية" لمدة ثلاث سنوات.

ففي العام الذي تقرر فيه الكنيسة إيقاف استقبال رهبان جدد، سوف يعمل البابا تواضروس مدفوعًا بجهود الأساقفة أعضاء لجنة شئون الرهبنة، على إعادة ترتيب المشهد داخل الأديرة مرة أخرى، مثلما أسلفنا وقد تشهد الأديرة حركة انتقالات بين رهبانها بالشكل الذي لا يمكن معه استقبال رهبان جدد.

أما القرار الخاص بإيقاف الترقيات لمدة ثلاث سنوات، فهي من بين محاولات البابا لضبط شهوة "المناصب" التي قد تعرف طريقها لرهبان الأديرة، وفقًا لقوانين الكنيسة يحق للراهب أن يتمتع برتبتي الكهنوت "قس وقمص"، فيستطيع أن يمارس الأسرار المقدسة بناءا على تلك الترقية، كذلك فإن الرهبان هم المرشحون ربما الأبديون لاعتلاء المناصب العليا في الكنيسة "الأسقفية" والباباوية، لا يحق لغير الرهبان الانضمام لعضوية المجمع المقدس (باستثناء وكيلي البطريركية)، ولا يحق لغيرهم التصويت على القرارات الكنسية المصيرية، إلا أن تلك الترقيات قد تُدخِل شهوة المناصب إلى نفوس رجال تركوا الدنيا لأجل الله، وهو ما يريد البابا تواضروس إعادته لكنيسته الكبيرة الأمر الذي يفسره قرارًا آخر ضمن سلسلة القرارات الاثنى عشر حيث يقول نصه "الاهتمام والتدقيق بحياة الراهب والتزامه

الرهبانـي داخل الدير واهتمامه بأبديته التي خرج من أجلها ودون الحياد عنها"، وهو نفس ما قاله البابا تواضروس في جنازة الأنبا إبيفانيوس حين ظهر غاضبًا وقـال لرهبان الدير "أخرجوا الانحـراف بعيدًا عن الرهبنة وعودوا لحياة القديسين".

الأديرة غير المعترف بها.. النصب المقدس

يستلزم بناء دير قبطى في مصر، ووفقًا لقانون الكنيسة الحصول على إذن من بطريركية الأقباط الأرثوذكس موقعًا من البابا تواضروس الثانى باعتباره الرئيس الأعلى للأديرة المصرية ومدبرها الروحى، وهو نفس الأمر المنصوص عليه في لائحة الأديرة التي أصدرها البابا تواضروس عام 2013، ومن ثم فإن تلك الأديرة التي لم تحصل على هذا التصريح قبل إنشائها لا تتبع الكنيسة القبطية وليس للكنيسة أي سلطة عليها.

ولكي يتم الشروع في تأسيس دير لا بد من الحصول على الإذن قبل شراء الأرض، ووجود تجمع رهبانى يرغب في الإقامة بالدير ثم البدء في شرائها بناءًا على ذلك ويفضل أن تكون بالمنطقة حياة رهبانية سابقة ويعيد الدير الجديد إحيائها من جديد، وتسجل أرض الدير باسم بابا الإسكندرية

بصفته أو أحد الأساقفة مندوبًا عن البابا ووكيلًا عنه.

في الخطوة التالية، يعرض الحاصل على التصريح الذي يشترط أن يكون من إكليروس الكنيسة، سواء أحد الآباء الرهبان أو الأساقفة، الرسم الهندسى للدير المراد بنائه على البطريركية مرة أخرى، ليحصل على الموافقة.

في الخطوة الثالثة، وبناءًا على هذا التصريح، تنتدب الكنيسة أحد الآباء الرهبان أو الأساقفة للإشراف على عملية تمويل بناء الدير إما عن طريق التبرعات من الكنائس أو جمع الأموال بأي طريقة بنكية أو نقدية على أن يتم تقديم ما يفيد ذلك وموافاة الكنيسة أولًا بأول، وينتهى هذا الإجراء ببناء الدير.

الخطوة الرابعة هي انتداب الكنيسة القبطية أحد الأساقفة أو الرهبان للإشراف على الحياة الرهبانية الجديدة في هذا الدير، التي عادة ما تبدأ برهبان في أديرة أخرى يبدأون في تعمير الدير الجديد حتى يتسنى للدير قبول طالبى رهبنة جدد.

الخطوة الخامسة، هي إستيفاء الشروط والمعايير، وانتظام الحياة الروحية والديرية بالدير الجديد والتقدم للجنة شئون الأديرة بالمجمع المقدس من أجل الحصول على اعتراف المجمع المقدس بهذا الدير، حيث تنتدب لجنة شئون الأديرة لجنة من الآباء الأساقفة لمعاينة الدير والتأكد من استيفائه للشروط والمعايير وتصدر تقريرًا بعد ذلك يرفع للمجمع المقدس عن

تفاصيل الحياة داخل الدير وهل يستحق الحصول على اعتراف المجمع أم أن الوقت مازال أمامه لترتيب وتنظيم الحياة الرهبانية فيه.

الخطوة السادسة، بعدما تطمأن الكنيسة إلى صحة الحياة الرهبانية والديرية في الدير الجديد، تصدر قرارًا بالاعتراف بالدير ضمن أديرتها القبطية وتعلم بذلك كافة جهات الدولة رسميًا.

هناك فجوة واسعة بين بناء الدير واستيفائه شروط الكنيسة القبطية وحتى الحصول على اعتراف الكنيسة ممثلة في مجمعها المقدس به رسميًا، هناك بعض الأديرة تخضع لإشراف الكنيسة لحين الحصول على اعتراف الكنيسة رسميًا ممثلة في مجمعها المقدس، ولكنها في الوقت نفسه كانت قد حصلت على تصريح رسمى من البطريركية لشراء الأرض، تلك الأديرة مازال أمامها وقت ليُعترف بها، مثل دير الأنبا مكاريوس بوادي النطرون، وهو الأمر الذي يختلف كليًا عن تلك الأماكن التي بُنيت دون إذن الكنيسة ولم تسعَ لتقنين أوضاعها أو الحصول على اعتراف رسمى بها.

في ظل معاناة الكنيسة القبطية من تلك الأديرة الوهمية صدرت عدة بيانات متابعة تحذر جموع الأقباط من زيارة تلك الأماكن أو التبرع لها، من بين ذلك المباني التي أسسها رجلٌ يدعو نفسه "أغابيوس الفاخورى" وبالميلاد قديس رؤوف غالي، زعم أنه راهب قبطي تمكن من جمع تبرعات بالملايين لينشأ ما أطلق عليه ديرًا قبطيًا يجتذب مئات الزيارات، صدر ضده قرارٌ رسمي من المجمع المقدس جاء فيه "أن المدعو ليس راهبًا بالكنيسة

القبطية ولم تتم رهبنته بأي دير من الأديرة القبطية ولا يحمل أي صفة كهنوتية ونحـذر من التعامـل معه في المنطقة التي يقطن بهـا بالطريق الصحراوى "القاهرة - الإسكندرية"، وكذلك يحذر المجمع المقدس من التعامل مع الأماكن الأخرى المماثلة لهذا الوضع وليست تحت إشراف واعتراف الكنيسة ويوصي المجمع بعمل توعية شعبية شاملة عن هذه الأماكن غير المعترف بها كنسيًا لمنع التعامل معها".

كما أصدرت بطريركية الإسـكندرية للأقباط عام 2017 بيانًا حذرت فيه من بعض الأماكن التي قال أصحابها إنها أديرة قبطية ومن ذلك مكان يسمى الأنبا كاراس بوادي النطرون، وآخر للفتيات يسمى دير عمانوئيل بوادي النطرون، ومنشآت تسمى يوحنا الحبيب بطريق الإسماعيلية، وهو دير بطمس المشرف عليه الأنبا بطرس الأسـقف العام، ومكان علياسـم القديس أبوسيفين يطلق على نفسه دير الزيتونة بطريق العبور". وحذرت البطريركية الشـباب والشـابات الأقباط من تنظيم "خلـوات" أو التقدم للالتحـاق بالرهبنة في هـذه الأماكن، وكذلك حـذرت الأقباط ورجال الأعمال من تقديم أي عطايا مادية أو عينية لهذه الأماكن.

دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان.. شوكة بلعتها الكنيسة

ظل دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان، شوكة في حلق الكنيسة القبطية منذ تأسيسه عبر التبرعات وبناء أسوار عاتية له، حتى تجدد الأزمة مع الدولة التي أردات شق طريق يمر بالدير الأمر الذي استلزم هدم جزء من سوره، فلم يحظَ الدير الواقع في محمية وادي الريان الطبيعية على اعتراف المجمع المقدس حتى اليوم، رغم أنه حصل من قبل على تصريح من الكنيسة لبناءه ويعرف باسم الدير المنحوت، حيث سبق وعاش فيه القمص متى المسكين مع تلاميذه من الرهبان في الفترة ما بين الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى، حين دب الخلاف بين "أبونا متى" والبابا كيرلس السادس 1960، وأخذ الأب متى الرهبان أولاده مينا، وكيرلس، وموسى وأشعيا، وديونيسوس، وداود، وإسطفانوس ورحل إلى الريان.

تحدث متى المسكين في مذكراته الشخصية عن هذا الدير وقال أنه زار وادي الريـان في رؤية 1958 أثناء وجوده في دير الأنبا صموائيل، وقصها للمستشرق الألمانى أوتو مينا رودوس، قائلًا: "بينما أنا أسير في الوادي رأيت شيخًا جالسًا بجانب مغارة، وحينما اقتربت منه تهلل وقال: لقد انتظرتك هنا لسنين طويلة تعال هلمّ".

من هنا كانت البداية، والتاريخ يعيد نفسه مرة في شكل مأساة، وأخرى في شكل مهزلة، ففي 7 أكتوبر 1960 نُشر بصفحة الاجتماعيات بالأهرام، إعلان من أسقف دير السريان جاء فيه: إن الأب متى المسكين وأولاده جميعًا بالاسم قد جُردوا من كل الرتب الكهنوتية، ولا تعترف الكنيسة برهبانيتهم.(*) تقريبًا الأمر نفسه تكرر في أكتوبر 2015 بذات التفاصيل.

حينذاك تطور الأمر، ورد الأب متى المسكين في إحدى عظاته قائلًا: "ربنا كرمنى جدًا جدًا بأن أُضطهد ظلمًا من الشيطان والناس، أي من الأعداء الخفيين والظاهرين، وأبلغ إلى درجة الاختناق والموت، ولكن مع ذلك أبلغ إلى درجة الشكر بالحق والرضا التام، لدرجة أنني صرت مستعدًا لأقع في هذه الضيقة، واستمر في هذا الألم إلى ما لا نهاية، فلما أعلنونى في الجرائد أنني شُلحت من كهنوتى وجُردت من رهبانيتي، وظللت هكذا لمدة عشر سنوات، لم أطالب إطلاقًا بأن يراجعوا الحكم، ثم إننى منذ البداية

(*) سليمان شفيق، من رؤية متى المسكين إلى اتفاق محلب، جريدة اليوم السابع.

لم أعترض على الحكم، لأنه كان يلزمهم أن يبلغونى أولًا رسميًا ويحددوا موعـدًا لمحاكمة أو لتحقيق، وأعطي مهلـة 15 يومًا لكي آخذ معي اثنين من المحامين وأدافع عن نفسى.. فهذا هو قانون الكنيسة".

الشـيء نفسـه تكرر بعد 55 عامًا مع تلميذه "أليشع المقاري"، ثم مع الرهبان الستة المتبرأ منهم، وهم بولس الرياني، ودانيال الرياني، ومارتيروس الرياني، تيموثاوس الرياني، إثناسيوس الرياني، غريغوريوس الرياني، وهكذا تعيد الأزمة نفسها بذات الأسباب: كسر الطاعة.

انتهت الأزمة في 9 مايو 1969 حينما عفا قداسة البابا كيرلس السادس عن الأب متى المسكين وأولاده، ورد لهم رتبهم وقابلهم، وأرسلهم إلى دير أبومقار وعمروه، وحول ذلك تذكر المذكرات على لسـان الوسيط "أبونا صليب سـوريال"، أحد كهنة الجيزة: كان قداسـة البابا يستيقظ من النوم مفزوعًا وفي تعب شديد، وينادى على سكرتيره ويسأله عن أبونا متى.

في كتابه "قراءة في واقعنا الكنسي" يتناول المفكر القبطى كمال زاخر أزمة هذا الدير ويقول تعالت أزمة الأديرة في الفترة الأخيرة من خلال ما يعرف بـ"الأديرة تحت التأسيس"، وجدل علاقتها بالأقباط، سواء باستقطابهم بدافع الرهبنة، أو اللعب على النزعة الدينية، وجمع أموالهم كتبرعات لتأسيس أديرة جديدة، لتخرج الكنيسـة في أكثر من مناسبة تحذر من تبعات ذلك، ومن التمرد عليها، وبيع ممتلكات الدير التي جمعوا أموالها من تبرعات الأقباط،

ومن وادي الريان إلى وادي النطرون، وجمع 33 مليون جنيهًا لبناء دير يحمل اسم "الأنبا كاراس" دون علم الكنيسة، وانتهى به المطاف بالاستيلاء عليه وكتابته باسم الراهب الذي طردته الكنيسة.. وفي الفيوم، أغرت راهبة الفتيات بالانضمام إليها بحجة الرهبنة، وجمع أموال باسم "إخوة الرب"، وقام مسيحي بانتحال صفة راهب وتأسيس دير على الطريق الصحراوي، لتجد الكنيسة نفسها أمام ظاهرة جديدة تمت دون علمها.

لقد ظهرت الرهبنة في مصر على يد القديس أنطونيوس الكبير في القرن الرابع، عصر الانتقال من المشاعية إلى الإقطاع، عصر كانت فيه المدينة تبعد آلاف الكيلومترات عن الصحراء، وظهرت الرهبنة كحركة شعبية علمانية، رهبنة إخوة وليس رهبنة كهنوتية، ولم يكن هناك إلا كاهن محلي يأتي من أقرب إيبارشية يصلي معهم القداس الإلهي كل زمن، وبعد عقود أصبح هناك كاهن راهب في كل تجمع رهباني، وكانت الرهبنة تخضع للكنيسة، عقائديًا وروحيًا وليس إداريًا، وشيئًا فشيئًا، ومع عوامل التطور خاصة في الثلاثين عامًا الأخيرة، وفي الثورات، خاصة ثورة الاتصالات، تغير الأمر وبلغ عدد الرهبان –وفق المصادر الرسمية– حوالى 1200 راهب، وأصبح المجمع المقدس120 أسقفًا، أي أسقف لكل عشرة رهبان، وباتت الرتب الكهنوتية وسط الرهبان تقترب من 60 % تقريبًا، وعين أسقف لكل دير، وخضعت الأديرة إداريًا للكنيسة، ومن ثم أصبحت الرهبنة الحالية في أغلبها "أكليروس متبتل تابع للكنيسة" وليست رهبنة بالمعنى

"الأنطونى"، ولكن هناك بقايا صراع بين الشكل القديم للرهبنة "حركة علمانية شعبية وليست كهنوتية كنسية"، والرهبنة الحديثة التي تحولت إلى "أكليروس متبتل تابع للكنيسة"(*).

أما التبرعات فتذهب للأديرة أكثر من الكنيسـة، وربما ذلك فتح باب محـاولات الربط بين الإيبارشـيات والدير، وبات كل أسـقف أو مطران يحاول إنشـاء دير أو الاسـتحواذ على دير، وخلق "مولد" له يدر أموالًا، ومن ثم نشأت التنافسية، ولا أقول الصراعات.

ومـع اقتراب المدينة من الصحراء، وتحول الأديرة إلى مزارع ومصانع ومعامل إنتاج ظهر "بيزنس ديري"، ومع الزيارات اليومية والفندقة صار الدير قطعة من العالم، وأصبحت لديه علامات جودة وحسابات في البنوك ورحلات لأوروبا وأمريكا لجلب التبرعات السخية.

باختصار، تبدلت العلاقة الرهبانية من علاقة "رأسية بالله" إلى علاقة "أفقية بأرض"، كل مشاكل الأديرة مع الدولة مشاكل توسع أفقى، ونشأت ما تسـميه الكنيسـة "أديرة غير رسـمية"، ومن ثم ارتد الصراع إلى عصر "الإقطاع الرهباني" كما كان يحدث في أوروبا في العصور الوسطى، حيث كان لكل دوق إقطاعية بها دير وأسقف..

يظهر ذلك جليًا في أزمة دير وادي الريان، الذي قلب صحراء الفيوم، وعلى بعد 20 كم من شلالات وادي الريان التي تعتبرها وزارة البيئة محمية

(*) سليمان شفيق، المرجع السابق.

طبيعية، تمتلئ بالحيوانات والطيور النادرة.

في العام 2015، قررتُ خوض مغامرة استكشاف هذا الدير وقبل انتهاء أزماتـه مع الدولة والكنيسـة حيث كانت وزارة النقل تعتزم شـق طريق الفيـوم الدولي مارًا بالدير ورأت ضرورة هدم سـور الدير، ليعبر الطريق من منتصف الدير ويشطره إلى نصفين، حتى أن الوزارة حين بدأت تحريك معداتها صوب الدير عام 2015 تصدى لها الرهبان حاملين "التونيا البيضاء"، وهي كفن الراهب الذي يُدفن به وفقًا للتقاليد الكنسية.

في الطريق إلى الدير سـارت بنا السـيارة وسط صحاري الفيوم، حتى ظهرت بحيرة قارون على اليسار، وبعدها لاحت علامات إرشادية تهدي إلى شـلالات وادي الريان، تعبر البوابة السياحية، وتقطع السيارة مسافة أخرى لا تقل عن 30 كيلومترًا، يظهر بعدها سـور الدير الأزمة، مترامي الأطراف، يعلو ويهبط بين منحدرات الصحراء الوعرة، يلتف مع التفافها، وينحني لها، على مرمى البصر وفي منطقة بعيدة جدًا عن بوابته، تظهر من بعيـد قباب وصلبان وقلايات الرهبان، تنتفخ في سـماء الصحراء، لتؤكد وجود ديرها ورهبانه.

تظهر لافتة "دير الأنبا مكاريوس السـكندري بوادي الريان" يرحب بالزوار، تعبر طريقًا رمليًا صغيرًا، تواجه البوابة الحديدية أمامك، تعلوها صورة الراهب القديس، تطرق الباب، يخرج لك عصبة من الرهبان، يحمل أحدهم عدسة الصحراء المكبرة الضخمة، ويحمل الثاني في يده نبوتًا خشبيًا

كالذي كان يستخدمه الفتوات في الحارات القديمة.

تعبر السيارة طرقًا أخرى، ومرتفعات رملية ناعمة، فلا يبين أثر، إلا أن الراهب نوح الذي يتمتم دائمًا "يا يسوع"، يطمئنك، لا تخشى المسافة الرب معنا، وأمام لافتة خشبية نحتها الرهبان كُتب عليها "لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت"، تتوقف السيارة، حيث يُمنِّي الرهبان أنفسهم بالانتظار وهم يقرأون أقوال القديسين، انتظارات كثيرة تتجدد من وعد إلى آخر، ومن أزمة إلى أخرى.

في غرفة تجاور عيادة الدير، ننتظر الراهب بولس الرياني، أحد أقدم رهبان الدير، والمسؤول عن الآثار فيه، والذي سيُسجن بعد هذا اللقاء بعامين نتيجة التعدي على أراضي وزارة البيئة جاءنا الراهب بعد انتظار نصف ساعة على ظهر سيارة دفع رباعي، يصعد بها الجبل حيث قلايته وكنيسته وآثاره التي اجتهد في البحث عنها.

كان الراهب بولس يحمل حقيبة سوداء، تمتلئ بأوراق النزاع، ملفات كثيرة، ملف يخص وزارة البيئة، وملف يخص خطوات اعتراف الكنيسة بالدير، وملف ثالث لوزارة الآثار التي اعترفت فعليًا بأثرية المكان، وملف رابع لأزمة الطريق الدولي الجديدة، وأوراق وخرائط ومتاعب لا تنتهى، تعيد الراهب إلى العالم الذي قرر اعتزاله واستبدال الصحراء به، مثلما يقول.

"سوف نحمى الدير بجثثنا ودمائنا، ولن تعبر معدات الطريق الدولي

إلا فوق أجسادنا"، يستهل الراهب بولس حديثه الحاد كالصحراء التي لا تعرف التوازنات، قال إن الحياة الرهبانية بدأت في الدير بالقرن الرابع الميلادى إبان نشأة ظاهرة الرهبنة في مصر، ثم عادت مرة أخرى على يد الراهبين "متى المسكين"، وصديقه "إليشع المقاري"، رئيس الدير الحالي، في الستينيات من القرن الماضى، مؤكدًا أنه ينتمى إلى أقدم جيل من رهبان الدير بعدما توافد عليه العديد من طالبي الرهبنة، وحياة العزلة الحقيقة، ووجدوا فيه ضالتهم، حيث يقع الدير في صحراء شاسعة وينعزل عن العالم فعليًا، مما يسمح للراهب بالتأمل والنسك والصلاة، وعلى العكس من باقي الأديرة التي اقتربت جدًا من العمران، ويقول إنه ترهبن في هذا الدير منذ عام 2000، امتدادًا لذكرى القديسين وحياتهما الأولى، و"ظلت الحياة الرهبانية مستقرة في الدير، حتى بدأت محاضر وزارة البيئة تنهال على الدير عقب ضم الدير إلى منطقة المحمية الطبيعية بوادي الريان، وطالبتنا الوزارة بتقنين أوضاعنا، وتمكن رئيس الدير الراهب إليشع المقاري من الحصول على عقد اتفاق بين وزارة البيئة وسكان المنطقة المحليين ورئيس الدير، ينص على قبول الوزارة بممارسة الشعائر الدينية والأنشطة الضرورية للمعيشة، على أن يتم تخصيص الجزء الجنوبى الغربى من الدير لمنطقة الحيوانات، وذلك عام 2013، ويشير العقد إلى أحقية الدير في الحصول على مياه العيون بالصحراء، ويتضمن شرحًا تفصيليًا لمنشآت الدير، وهنا توقفت مشكلاتنا مع وزارة البيئة ثم ظهرت مشكلة جديدة".

"كنا نسير في طريق الاعتراف الرسمي من قبل الكنيسة بالدير، وانتمائنا لها أيام البابا شنودة الثالث، حتى تنيح، وتوقف كل شيء، وجاء البابا تواضروس فاتحًا ذراعيه لاحتواء الأزمة، وحصلنا على شهادة من الكاتدرائية تؤكد أن الدير أثري، وتم تجديد وتعمير الرهبان فيه عام 1960، حتى جاءت أزمة الطريق الدولي، فأوقفت الكنيسة إجراءات اعترافها بالدير، وعدنا إلى نقطة الصفر، و "طلب البابا تواضروس من الراهب إليشع، رئيس الدير، إيقاف أعمال إنشاء السور، كنا قد بنينا ثلاثة أرباعه بالفعل، ودعا البابا إلى اجتماع عاجل بالقاهرة بعد عشرة أيام، فما كان منا إلا أن أنهينا بناء السور قبل موعد الاجتماع، الأمر الذي أغضب البابا تواضروس، وطلب موافقة الرهبان على هدم السور، استجابة للدولة التي رأت ضرورة عبور الطريق الدولي من قلب الدير فرفضنا وخسرنا اعتراف الكنيسة الرسمي"، "الدولة لا تريد أن تحقن دماء الفتنة الطائفية التي ستغرق الصحراء، إذا قررت هدم سور الدير، ومنعنا من العيون التي أنفقنا عليها، وهدمت الكنائس والمباني التي بنيناها بأيدينا، فنحن نعيش على أموال الصدقات ولا يمكن أن نفرط في ذلك".

"استعنا بخبراء ومهندسين وخرائط مساحية وقد أكدوا أن هناك أربعة طرق بديلة لهدم الدير يمكن للطريق الدولي أن يعبر منها، عارضًا خرائط ملتقطة بالقمر الصناعى لموقع الطريق"، و"الفتنة قادمة إذا لم تستجب الدولة وتتركنا ننعزل عن العالم ونواصل حياتنا الرهبانية وتأملنا".

وعـن تمويل الدير، قال الرياني إن الدير يتلقى تبرعات عينية من عمال المحاجر، وأصحاب المحاجر في جبال المنيا والفيوم، كما أن تلك التبرعات هي التي أسهمت في بناء السور، بالإضافة إلى أموال نقدية وتبرعات باسم الدير، يحصل المتبرع وفقًا لها على إيصالات باسم الدير، مشيرًا إلى أن جمع ملايـين الجنيهات من أجل تعمـير الدير لم يحدث بين ليلـة وضحاها إنما جاء حصيلة سنوات من التعب والخدمة في الصحراء، فالرهبان يعملون على حفر قلايات لهم ليسـكنوها في الجبـل، وفي أثناء أعمال الحفر فوجئ الرهبان بوجود عظام وملابس كهنوتية قديمة "تونيا" من الكتان المتهالك، واسـتمرت عمليـات الحفر، حتى تم العثور على مـا يقرب من 20 مغارة أثريـة وأوانٍ فخارية، حصلت بالفعل على اعـتراف وزارة الآثار يوم 12 أغسطس الماضي، حيث تضمن تقرير هيئة الآثار التأكيد على وجود تلال أثريـة، عليها مظاهر أثرية عبارة عن كسر فخارية منتشرة على الأسـطح، ومباني بها جدران ممتلئة بالرسوم الأثرية، وأطلال مبانٍ من الحجر الجيرى والطوب الطفـلي، وأوصت هيئة الآثار بضرورة تسـجيلها ضمن الآثار الإسلامية والقبطية.

يقرر الرياني أن يعرض كشـوفه الأثرية، نعود إلى السيارة التي يقودها الراهـب بيجول، وبصحبـة الراهب نوح نصعد وسـط صحارى وعرة ومرتفعـات، "تغرز" السـيارة في الرمل، يبذل الرهبـان المدربون جهودًا لإخراجهـا، نواصل السـير، ونصل أخيرًا إلى المغـارة الأولى، وفي المغارة

دولابان خشبيان بداخلهما كتابات باللغة القبطية ورسوم، يطلان من خلف لوح زجاج فضل الرهبان الحفاظ عليه بتلك الطريقة، وفي الداخل مغارة تظهر فيها آنية فخارية، وحفر عميق كان يُستخدم لتخزين الغلال، وعلى بعد 20 مترًا منها مغارة أخرى بالمواصفات ذاتها.

أسفل المغارة وبعد أن تهبط بضعة أمتار من الجبل، تظهر لك الكنائس الأربع التي بناها الرهبان على تبة مرتفعة وعالية، الأولى تحمل اسم مذبح الملاك ميخائيل رئيس الملائكة، والتي تم حفرها عام 2004، وتضم رفاتًا للشهيدة القديسة دميانة، والقديس إبراهيم البسيط، وعلى المذبح تكتب عبارة "من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت في وأنا فيه"، فوق صورة العشاء الربانى للمسيح وحوارييه.

يقول الراهب نوح، إن يوم الرهبان يبدأ في الثالثة صباحًا بالتسابيح القبطية، ثم يتجهون إلى صلاة القداس، وبعدها يقرأون قانون الراهب، ثم يتجه كل راهب إلى خدمته سواء في المخبز أو البوابة أو ورشة النجارة، أو ورشة الميكانيكا أو مزرعة الدير، وتختتم الخدمة بصلوات العشية ويصعدون إلى القلالي للنوم والراحة.

نتجاوز الكنيسة الأولى، وفي الطريق إليها تقف الصحراء مرصعة بأقوال القديسين على ألواح خشبية ينتجها الدير، الكنيسة الثانية تحمل اسم القديس الأنبا مكاريوس السكندري الذي يحمل الدير اسمه، حيث كان يصلي في هذا المكان بالجبل، ويقضي أيام الصوم الكبير هنا، وترك آثارًا

تدل على وجوده وإقامته، وحين عادت حياة الرهبنة إلى المكان تم تدشين الكنيسة باسمه، وعلى بابها هناك اسم الأب متى المسكين كأحد مؤسسي الدير في الستينيات، وعلى حوائطها مديح باسمه "كان هذا الطوباني أصله سكندري وصنعته حلواني، تعرف على المسيح في سن كبيرة صحيح ولكن إيمانه صحيح، كان له أربع مغارات يسكنها في مناسبات ليرفع الصلوات"، ويؤكد الراهب نوح أن تلك الكنيسة تم حفرها ضعف مساحة كنيسة الملاك ميخائيل بعد انضمام رهبان جدد للدير. أما الكنيسة الثالثة فتحمل اسم القديس أبسخيرون، وتضم مغارة أثرية أيضًا تم تحويلها إلى غرفة رهبان تضم ملابس "التونيا"، وبها أيضًا متحف صغير يحتوي على فخارات أثرية وعظام وجماجم لمن سكنوا الدير من قبل.

بعد سنوات من استعداء الكنيسة والدولة معًا بسبب رفض رهبان هذا الدير شق طريق الفيوم الدولي، انتهت الأزمة بالقبض على الراهب بولس الرياني وإيداعه سجن الفيوم بتهم التعدي على موظفي وزارة البيئة، وقضى عقوبته بالفعل وخرج بعدما تم تسجيل أرض الدير باسم البابا تواضروس وتنفيذ اتفاق قاده إبراهيم محلب مستشار رئيس الجمهورية للمشروعات يقضي بتقنين أوضاع الدير رسميًا وشق طريق الفيوم مارًا به.

دير الأنبا كاراس بالنطرون.. شوكة أخرى جديدة

يستدعي نموذج دير وادي الريان الذي انتهى بإحكام الكنيسة قبضتها عليه نموذجًا آخر من الأديرة غير المعترف بها كنسيًا، وهو دير السيدة العذراء والأنبا كاراس الذي أسسه الراهب يعقوب المقاري بعدما جمع له تبرعات هائلة، الديران "الريان" "والأنبا كاراس" غير معترف بهما، وأثارا صداعًا بالغًا في رأس الكنيسة، وهما معًا نتاج أزمات دير الأنبا مقار، فالدير الأول تأسس على يد إليشع المقاري، أما الثاني فتأسس على يد يعقوب المقاري الذي أصدرت الكنيسة القبطية قرارًا بتجريده من رهبنته وإعادته لاسمه العلماني في الخامس من سبتمبر من العام 2018 أي بعد شهرين من حادثة مقتل الأنبا إبيفانيوس وقد قررت خوض مغامرة أخرى في صحراء وادي النطرون لإجراء حوار صحفي معه.

في صحراء وادي النطرون، تنحرف بنا السيارة يمينًا في الطريق المؤدي لدير براموس، حين تظهر لافتة "دير العذراء والأنبا كاراس"، نمر بمنعطفات صخرية تحوطها الأشجار من كل اتجاه وكأنك في الطريق للغابة، حتى تظهر قباب دير جديد، يقف قبلها رجل شرطة نقول له "عندنا معاد مع أبونا يعقوب" ليفتح لنا الطريق، وعلى باب الصرح الذي يسميه صاحبه "ديرًا"، يسأل الحارس عن هوياتنا ليسمح لنا بالدخول.

مساحات شاسعة من الأرض، وكنيسة عملاقة بقباب ضخمة، وأعمال بناء تجري هنا وهناك، ومَضيفة تستقبل الزوار يقوم على خدمتها من يرتدى ملابس طالبى الرهبنة، وتسابيح وتماجيد تنبعث من جهاز تسجيل في الخلفية، بينما صور "يعقوب المقاري" مع البابا شنودة تملأ المضيفة كلها، وفي المنتصف صورة كبيرة للبابا تواضروس كُتب عليها بابا الإسكندرية.

يسألني طالب الرهبنة، إن كنا نرغب في الغداء، نبلغه أننا ننتظر "أبونا يعقوب"، وبعدها بدقائق يشير لنا عامل آخر، إن الراهب ينتظرنا هناك حيث كان يجلس خلف بوابة في منتصف الدير، يضع طاولته ويرتدي ملابسه الرهبانية غير عابئ بقرار تجريده من الرهبنة الذي صدر قبل لقائنا به بـ48 ساعة.

روى يعقوب بحذر شديد قصة تأسيس ديره الكبير فقال: كانت هناك سيدة مريضة بالسرطان، تتردد علينا كثيرًا في دير أبو مقار الذي كنت راهبًا فيه وكان الأنبا كاراس شفيعها فشفاها وظهر لها وطلب منها تأسيس مكان

على اسمه، ثم تواصلت مع أسرتها وحصلت على إذن البابا شنودة الذي وافق على تأسيس دير باسم الأنبا كاراس وكان ذلك عام 2006، وبعدها بأربع سنوات رسمت "قسًا" بيد البابا شنودة، ومنذ 2010 بدأت فعليًا في تأسـيس الدير، وقال لي البابا شنودة "احنا مقصرين في حق الأنبا كاراس وابدأ اعمله دير".

لم يكن هناك أية مظاهر لحياة رهبانية في هذا المكان، ولكن برية شيهيت بشـكل عام كانت مكتظـة بالأديرة والمغارات الأثريـة والحياة الرهبانية، حتى أن المقريزي أشـار إلى وجود 5 آلاف دير في مصر، وكان يعيش هنا 70 ألف راهب في برية شيهيت ووادي النطرون، وبعد موافقة البابا شنودة وتفويضه لي، اخترنا هذا المكان وجاء أصحاب المال واشتريناه معًا وكتبوا الأرض باسمهم، ومازالت الأرض باسمهم حتى اليوم، وهناك من يدعي أن الأرض باسمي ولكنها باسم السيدة "أم مايكل" وأولادها.

في الأيام الأخيرة من حياة البابا شـنودة، طلب منه الأنبا بيشـوي أن يصبح مسؤولًا ومشرفًا على تأسيس الدير معي، وقد كان وقتها سكرتيرًا للمجمع المقدس ووافق البابا شنودة على ذلك، وحين جاء البابا تواضروس بطريرك اعتذر الأنبا بيشـوي عن الاستمرار في إشرافه على الدير، والدير مستوفي الشروط، ولكن دير البراموس المجاور لنا بدأ يتسبب في مشاكل معنا وقالوا "مينفعش دير جمب دير" وأحد الأسـاقفة قال "انتوا بتنافسوا

دير البراموس"، ورهبان البراموس رأوا أن دير الأنبا كاراس سيقلل من دخلهم ومن الزيارات وكلام من هذا القبيل.

و كان لدي مزرعة بالفعل اشـتريتها من أحد الأشـخاص بالأقساط وتبلغ مسـاحتها 8 أفدنة، ودفعت قسطين فقط، وبعدها بدأت الخلافات مع الكنيسـة عام 2015، وبدأت تقل الزيارات على الدير، فاضطريت أن أبيع الأرض لكي أسـدد الأقساط فجاءنى سمسار بمشترى اسمه أحمد، وقد عرض أعلى سـعر فبعت له، وأحب كل الناس ومسـلم ومسـيحى "مبيفرقش معايا".

وحين تولى البابا تواضروس منصب البطريرك، رسم الأنبا إبيفانيوس رئيسًـا لدير أبومقار الذي كنت أقيم فيه، فأنا راهب مقاري في الأساس، ثم اعتذر لي الأنبا بيشوي عن الإشراف على الدير، مقترحًا أن يتولى الأنبا إبيفانيوس تلك المهمة باعتباره رئيس ديري الذي ترهبنت فيه فرفض الأنبا إبيفانيوس لأن مسؤولية دير أبومقار كبيرة، ثم استكملت إجراءات بناء دير الأنبا كاراس بعلم البابا تواضروس ثم بدأت "الهوجة" في عام 2015.

في 2015 كان هناك أربعة رهبان كنت قد أرسـلتهم بنفسي لدير الأنبا مكاريوس بوادي الريان من قبل وكنت أب اعترافهم وأباهم في الرهبنة، ثم أتيت بهم إلى هنا لكي يساعدونى في تأسيس هذا الدير، ثم بدأت توجهاتهم تختلف فتعلموا المبيت خارج الدير بالأسـبوع، والحصول على أموال من ناس ولا يقدمونها للدير، والكلام ده كله ميفرقش معايا، ولكنهم اتفقوا مع

رهبان دير البراموس ليسلموا هذا الدير لهم ويصبح تابعًا لدير البراموس و"أنا أمشـي من الدير" ثم جاءوني وقالوا غدًا اجتماع البابا مع الرهبان، وسوف نشـكوك له إلا لو سـلمت الدير للأنبا إيسوذوروس رئيس دير البراموس المجاور، وفي الوقت نفسه سنصبح نحن رهبانًا بدير البراموس ونخدم هنـاك، فطردتهم من الدير، ورفضت إدخالهم مرة أخرى، بعدها زادت المشاكل حيث طلب البابا تواضروس مني أوراقًا معينة وأرسلتها له لكي نقنن الاعتراف بالدير، ثم نشرت مجلة الكرازة بيانًا تعلن فيه الكنيسة أن دير الأنبا كاراس ليس ديـرًا وأننا "نصابون" والتبرعات التي تأتى لنا تذهب للباطل، مما دفعني لترك المكان هنا والعودة لدير أبومقار وكان ذلك في الصوم الكبير 2015 ثم أرسل لي الأنبا إبيفانيوس وطلب مني أن أكتب أرض دير الأنبا كاراس باسم البابا فرفضت، لأن الأرض باسم أصحابها وليسـت باسمي فخيرني ما بين أن أعيش راهبًا في دير الأنبا مقار وأقطع علاقتـي بدير الأنبـا كاراس، أو أن أترك دير الأنبا مقـار وأعيش في دير الأنبا كاراس، ويعلن ذلك في بيان رسـمي، اخترت أن أعيش في الموضع الذي أسسـته وتعبت فيه وهو دير الأنبا كاراس ولملمتُ أشـيائي وجئت إلى هنا بكامل إرادتي.

وصدر بيـان يعلن فيه دير الأنبا مقار عدم مسـؤوليته عني في الأمور الماليـة والروحية، وهو أمر طبيعي لأننـا اتفقنا على ذلك، فأنا تركت دير الأنبا مقار وبالتالي الدير ليس مسؤولًا عني، وبعدها جاءني الأنبا بيشوي،

وقال إن البابا تواضروس كلفه بحل المشكلة معي، واتفقنا أن تشرف لجنة مالية من الأساقفة على الدير، برئاسة الأنبا بيشوي، وأن يأخذ الإخوة الرهبان ويرسمهم في دير السريان، وأن أصبح أنا أمينًا للدير، وقال لي إن البابا "عايز الأرض تتكتب باسمه"، فقلت له إن الأرض ليست باسمي، وإن أصحاب الأرض سيسجلون الأرض باسم الكنيسة في حال اعترفت بالدير رسميًا وهو ما سجلناه في خطاب رسمي وجهناه للبابا تواضروس، ولكن البابا رفض وطلب أن أخلي المكان وألتحق بأي دير آخر، وسمعت أن الكنيسة تفكر في تأسيس منتجع سياحي في هذا المكان، ولكن بعض الأساقفة يرون ضرورة ضمه لدير البراموس، ثم اجتمعت مع لجنة شؤون الأديرة عام 2015 أيضًا، وجلست معهم وطلبوا مني كتابة تعهد رسمي بالخضوع للبابا فوافقت، وطلبوا أن أكتب تعهدًا بتسليم الأرض للكنيسة، فكلمت أصحاب الأرض وأرسلوا محاميهم وجلسوا مع الأساقفة، وأطلعتُ اللجنة على خطاب البابا شنودة الذي كلفني فيه بتأسيس الدير، واقترح أحد الأساقفة أن أضم لي بعض رهبان دير الريان فوافقت، ثم رجعوا في اتفاقهم وطلبوا تسجيل الأرض باسم الكنيسة مرة أخرى وهو ما لا أستطيع تنفيذه، وطلبوا أيضا أن أترك الدير وأغادر، وأن الكنيسة غير مسؤولة عن الديون التي استدنتها لتأسيس الدير، وسيُلحقني البابا بأي دير يرغب فيه فشعرت بالغدر، لو تركت الدير ومشيت "أنا عليا ديون والتزامات".

فقد كتبت إيصالات أمانة واستدنت من رجال أعمال أقباط في المهجر

لكي أؤسس هذا الدير وبعض المشروعات الخدمية فيه، هي ديون بلا فوائد ولن يتركوها لأنها ليست تبرعًا، وكنت أخطط أن أبني مشروعات بعدما أنتهي من بناء مباني الدير، لدي مشروع للدواجن وفكرت في تأسيس مصنع مكرونة ولدينا مزارع زيتون وموالح ورمان، وكنت سأنشئ مصنع سلك وكابلات، ولكن الكنيسة قالت "الديون ملناش دعوة بيها ودا طبعًا هيدخلني السجن لأني مضيت إيصالات أمانة وطبعًا هتحبس"، ورفضت طلب الكنيسة وقلت "سددوا الديون معنديش استعداد أدخل السجن".، وتم غلق ملف هذا الدير فترة طويلة، ثم ظهر مرة أخرى تحديدًا في المجمع المقدس الأخير وهاتفني أحد الأساقفة وقال لي إن دير الأنبا كاراس ذُكر أكثر من مرة في المجمع المقدس وإنهم "عايزين يخلصوا الموضوع" ثم زارني الأنبا مكاريوس أسقف المنيا والأنبا متاؤوس رئيس دير السريان في جلسة محبة وصلوا بالكنيسة، وأعلنت خضوعي للكنيسة القبطية، وطلبت أن يشرف الأنبا متاؤوس على الدير ويتدخل لحل الأزمة، بعدها بأسبوع ردوا برفض البابا لأن البابا يرغب في نقل ملكية الأرض باسم الكنيسة، ثم التقيت الأنبا مكاريوس بالقاهرة مع أصحاب الأرض والدائنين، وانتهت الجلسة بالعبارة "الأرض والدير مقابل الكهنوت"، فإن لم أمنح الكنيسة الأرض سيتم شلحي والناس رفضوا خوفًا من بناء منتجع سياحي في هذه الأرض، وهذا المكان دير والبابا شنودة قال إنه دير، ولا يمكن أن يكون أي شيء إلا ديرًا.

ثم صدر في البداية قرار التجريد لي مع "إشـعياء المقاري" وكان قرارًا غير مختوم لجس النبض، ثم جردوا إشعياء المقاري وحده، وفي نفس اليوم ظهـر الأنبا كاراس لطفل اسـمه إرميا في المنطقة هنا، واسـتبشرت خيرًا، وزارنى الأنبـا متاؤس، والأنبا دانيال رئيس دير الأنبا بولا وجددا طلب تسـليم الأرض للكنيسة وأن أغادر المكان مرة أخرى فرفضت، ثم اتفقنا عـلى أن الأنبا متاؤوس يصبـح مشرفًا على الدير، وكتبنـا ذلك في تعهد، ثم جاء الأنبا دانيال سـكرتير المجمـع واجتمعوا معًا وتركت لهم المكان، ومضيت على أنه في حالة مخالفتي للأنبا متاؤوس أصبح تحت طائلة القانون الكنـسي وغادروا، وبعدها اتصلوا بي وطلبـوا الاجتماع بي مرة أخرى في المعادى وذهبت فقالوا عليك أن تكتب الأرض باسـم الكنيسـة بلا قيود ولا شروط، وألا أشترط الاستمرار في الدير وأن أعيش في أي دير فقلت لهم "متأسف" ثم عادوا وزارونى مرة أخرى هنا في الدير وطلبوا التوقيع على الإقرارات، ورفضت وقلت لهم و"إيه اللي عملتوا غلط عشان أمشى من الدير"، قالوا لي "البابا هيجيب حد تانى يمسـك الدير مكانك" قلت لهم "بابا مين اللي يجيب غيرى يمسـك المكان، اللي هيجى أحسـن مني في إيه، أنا بنيت المكان وتعبت فيه ويجي حد ياخده غيرى".

"أنـا ما أخدتش حاجـة من حد ولو أخدت من حقي أن آخذ لأنى مسـؤول مـالي وإداري وروحـي ومشرف عـام على الديـر بتفويض من البابا شـنودة عن هذا المكان، وإذا جاء أحد ومنح أحد الأساقفة "فلوس

مش هيقوله لا"، وأنا برضه ماخدتش واللي طلع شائعة استيلائي على 33 مليون جنيه دي "واحدة ست" كانت صديقة لراهب ممن سرحتهم من الدير، والـ33 مليون دول أنا اخدتهم ازاي؟، هل هناك ما يثبت ذلك أو إيصال أو ورقة وهذا الكلام كله باطل".

"وقعت إيصالات أمانة وبنيت، والزيارات قليلة فأفتح الصناديق أجد ألفًا أو ألفين كل 15 يومًا، ولم يكن أمامى أي وسيلة لاستكمال الدير سوى توقيع إيصالات أمانة، والـ33 مليونًا ميعملوش حاجة والدير هنا كلف على الأقل 150 مليونًا والكلام كتير وممكن أرفع قضية على هذه السيدة ولكنها ابنتى وحتى لو غلطت في حقى هسامح".

حكى يعقوب أيضا قصة إصداره بيانًا يعلن فيه تبرأه من البابا تواضروس وقال: كتبت هذا البيان من فترة وكنت مجهزه ومفيش حاجة عندي أخاف عليها، وقرار الشلح مش فارق معايا لأني بعتبر "البابا مش موجود" ولا أعترف به، ولم أنصب نفسى بطريركًا "الفيس بوك" هو من قال ذلك، ولأنى كاهن من حقي أن أرسم رهبانًا لأن الرهبنة ليست درجة كهنوتية، ولكنى لا أستطيع أن أرسم "شماس" مثلًا لأنها درجة كهنوتية وقوانين الرهبنة تسمح بذلك، وأنا نفسى مرسوم بيد أبونا كيرلس المقاري وقد كان كاهنًا، وأبونا متى المسكين كان يرسم رهبانًا والبابا كيرلس السادس رسم رهبانًا حين كان أبونا مينا المتوحد، وهكذا، وكنت عامل حساب للكنيسة وخاطر ورفضت أن أرسم رهبانًا هنا، أما الرهبان الذين معي

فهـم يحبوننى والأديـرة مغلقة ولا تقبل إلا أطباء ومهندسـين فقط وأتوا لخلوات روحية وفضلوا أن يعيشـوا في المكان هنا، ولم يخطر على ذهني أن أصير أسـقفًا أو بطريركًا وأنا راهب أحب أن أعيش راهبًا وأموت راهبًا ولا أشتهي أن أكون "أسقف".

وبالنسبة للدير فهذا المكان معترف به من الجهات الرسمية ومن المحافظة ومجلس المدينة يقر إنه دير، والكنيسة لم تشلحني بل البابا تواضروس، فأنا كاهن رسـمه البابا شنودة وهو رسمه البابا شنودة فمصدر كهنوتنا واحد أنا والبابا تواضروس.(*)

(*) الحوار أجرته الكاتبة ونشر بجريدة وموقع اليوم السابع في 7 أغسطس 2018.

عِزب الأساقفة وموالدهم

لم تكن قرارات البابا تواضروس التي أراد بها إصلاح الرهبنة والأديرة لتمر مرور الكرام على الأساقفة الذين يسيطرون على الأديرة خاصة ذات الموالد الشهيرة، قرارات البابا استهدفت إخضاع كافة الأديرة لقرارات مركزية بينما قطاع كبير من الأساقفة يعتمد على دخل الأديرة القريبة منه ومن ثم فإن قرارات إيقاف الرحلات وتقنين أوضاع الأديرة ليست سهلة.

في الصعيد غالبية الأديرة تخضع لأساقفة الإيبراشيات الأقرب لها، وتنتشر ظاهرة الموالد القبطية التي تعم البلاد طولها وعرضها في أديرة كثيرة أشهرها دير السيدة العذراء بدرنكة بأسيوط والدير المحرق بأسيوط أيضا، ودير الأنبا صموئيل بالمنيا، ودير مارجرجس بميت دمسيس بالدقهلية ودير القديسة دميانة بالدقهلية أيضا.

في مواسم الموالد تعج تلك الأديرة بالزيارات إلى جانب إيجار الدير

لبعض الأنشـطة التجارية مثل محلات الطعام التي تخدم الزوار وأنشـطة البيع والشراء، ليجد الأسـقف بحوزته ملايين الجنيهات في نهاية موسـم مولد الدير، تخضع تلك الأموال للأسـقف شخصيًا بلا ضابط ولا رابط إلا أن البابا تواضروس أراد إخضاع بعض من تلك الأموال للكاتدرائية وهو ما تسـبب له في أزمات مع بعض الأسـاقفة أشـهرهم الأنبا أغاثون أسقف مغاغا والعدوة.

عبر نظام إدارى جديد، حاول البابا تواضروس تقنين قضية التبرعات الكنسية وأسس نظامًا مركزيًا يحمل اسم "برنامج البابا تواضروس للرعاية الاجتماعية" ، أراد من خلاله إخضاع قضية التبرعات لسيطرة الكاتدرائية حتى يضمن وصولها لمستحقيها من "إخوة الرب" أو فقراء الكنيسة، وهو النظام الذي لاقى مواجهة داخلية إلا أن البابا حاول تطبيقه في الكثير من الإيبراشـيات ليساعد على تدفق الأموال بشكل أفقي من الكنائس الغنية ذات التبرعات الباهظة لجاراتها الكنائس الفقيرة، ويضمن برنامج البابا أيضًا توظيف الحرفيين والعاطلين عن العمل عبر ربطهم بمؤسسات وشركات تطلب موظفين، بالإضافة إلى توفير الأدوية والأجهزة التعويضية لهؤلاء المحتاجـين، إلا أن قبضة البابا تلك أغضبت الكثير من الأسـاقفة الذين يحبون أن تبقى في إيديهم أموال الحل والربط.

في مغاغـا، أخضع البابا تواضروس أموال كنيسـة دير الجرنوس أحد مسـارات رحلة العائلة المقدسـة للجنة مركزية من الكاتدرائية بعدما بلغ

الصراع بين الأسقف "الأنبا أغاثون" وشعب الكنيسة حدًا واسعًا، حيث منع الأسقف إقامة الأفراح في تلك الكنيسة وأمر بإقامتها في المطرانية بمدينة مغاغا حتى تصل إليه الأموال مباشرة، ويتمكن من بناء مبنى جديد للمطرانية، فما كان من شعب الكنيسة إلا أن احتج بشكل بالغ على سلطة الأسقف الروحية التي تحولت مع الوقت لسلطة مالية أيضًا.

تجريد إشعياء المقاري

بعـد يومين من إصداره قرارات ضبط الرهبنة، كان البابا تواضروس على موعد مع توقيع القرار الباباوي الأخطر، تجريد الراهب إشعياء المقاري من رهبانيته وعودته لاسـمه العلماني "وائل سعد تواضروس"، وقد جاء هذا القرار قبل أيام من تقديمه للمحاكمة كمتهم أول في القضية رقم 805 كلي وادي النطرون، مقتل الأنبا إبيفانيوس.

جاء في نص بيان الكنيسة: بعد التحقيق الرهبانى بواسطة لجنة خاصة مشكلة من اللجنة المجمعية لشئون الرهبنة والأديرة، مع الراهب إشعياء المقاري بخصوص الاتهامات والتصرفات التي صدرت عنه والتي لا تليق بالسلوك الرهبانى والحياة الديرية والالتزام بمبادئ ونذور الرهبنة من الفقر الاختياري والطاعة والعفة، قررنا تجريد الراهب المذكور وطرده من مجمع دير القديس العظيـم مكاريوس الكبير بوادي النطرون (دير الأنبا مقار) وعودته إلى اسمه العلماني وائل سعد تواضروس وعدم انتسابه إلى الرهبنة

مع حثه على التوبة وإصلاح حياته من أجل خلاصه وأبديته.

في فبراير 2017، نشر أحد المواقع القبطية، خبرًا مفاده أن شكاوى قد أُرسلت للبريد الإلكتروني للموقع من راهب يدعى "إشعياء المقاري" بعدما صدر ضده قرار باباوي يقضي بإبعاده من دير الأنبا مقار بوادي النطرون وإلحاقه بدير يسمى دير الزيتونة، وهو أحد الأديرة الجديدة بالعبور، وذلك على خلفية الطلب الذي تقدم به الأنبا إبيفانيوس للبابا تواضروس لإلحاق الراهب بأي دير آخر، فما كان من الراهب إلا أن جمع توقيعات من 45 راهبًا بالدير يطلبون فيها الإبقاء عليه بينهم، بينما وقّع الراهب إقرارًا خطيًا يعلن فيه التزامه وخضوعه لأبيه الأنبا إبيفانيوس رئيس الدير، وبالفعل ظل الراهب متواجدًا بين أسوار الدير حتى اليوم، دون الكشف عن مزيد من التفاصيل ولا أسباب اعتراض الأنبا إبيفانيوس على بقائه بين أسوار الدير.

سبق هذا تحقيق أدارته لجنة شئون الرهبنة التي كتبت تقريرها عن إشعياء وقالت فيه "أن الراهب له ذات كبيرة، ويكسر قانونين في الرهبنة، وهما الطاعة والتجرد، ويفتخر بحصوله على أموال كثيرة، ويستضيف الرهبان في قلايته، ولم يتعامل مع الأب الأسقف، وأمين الدير، ويقترب من عمل جبهة مضادة في الدير، ولا يمسك أي عمل في الدير، رغم أنه شاب في الثلاثينات، وبناءً عليه قرر البابا تواضروس نقله ثلاث سنوات لدير الزيتونة بالعبور.

بحسب قانون الرهبنة، فإن قانون تجريد الرهبان من الدير والرهبنة يمر على ثلاث مراحل، هي الإنذار على يد رئيس الدير، ثم تحويله للجنة الانضباط الرهباني، ثم للجنة المجمعية للأديرة وشئون الرهبان، "فلا يتم تجريد راهب إلا بخروجه عن الإيمان الأرثوذكسي أو ارتكاب مخالفة لنذوره الرهبانية، وهي الطاعة والفقر الاختياري والتبتل".

القرار الذي حمل توقيع البابا تواضروس ومكتوب بخط يده جاء فيه: إذ ندعو جموع الأقباط إلى الحفاظ على نقاوة الرهبنة القبطية بتاريخها المجيد، وحياة الآباء الرهبان التي اختاروها بأنفسهم، وتركوا العالم طلبًا للهدوء والتوبة وخلاص النفس، لذا نرجو من الجميع عدم تعدي الحدود الواجبة في المعاملات والعلاقات، والالتزام بالتعليمات التي تصدرها الأديرة في الزيارات والخلوات، وعلى ابن الطاعة تحل البركة.

كان قرار التجريد بمثابة تمهيد لإحالته للمحاكمة الجنائية بقرار من النائب العام صدر بعدها بأيام وقد اعترف إشعياء في تحقيقات النيابة التي أجريت في الدير بضلوعه في قتل الأنبا إبيفانيوس قبل أن يعود وينفيها كلية.

من أوراق التحقيقات

جاء في أقوال إشعياء المقاري أمام النيابة ما يلي: أنا راهب في دير الأنبا مقار منذ 2008 وترهبنت في عام 2010 على يد قداسة البابا شنودة وخدمت معه 3 سنوات وعلمنى كل شيء عن الرهبنة داخل الدير، وقال لي: "هناك مشاكل كثير ولا تسمع لكلام أحد من كبار الرهبان"(*).

"أول أعمالى عند ذهابى للدير أنني كنت مسئولًا عن بيت لحم، وأخبز للدير كله لمدة 7 سـنوات، وبعد ذلك أكملتُ في هذا العمل بعد أن تنيح البابا شـنوده وأصبحت مسـئولًا إلى جانب ذلك عـن مشروع الدواجن لمدة 5 سـنوات، وعلى الرغم من أني كنت ناجحًا في عملي داخل الدير إلا أنه كانت هناك مشاكل جسيمة بدأت تظهر بيني وبين رئيس الدير "الأنبا إبيفانيوس"، ونشـأت هذه الخلافات منذ عـام 2013، وفي إحدى المرات كانت أمي مريضة وطلبتُ زيارتها فرفض ونهرنى بعنف.

(*) ننشر أقوال المتهم الأول في مقتل الأنبا إبيفانيوس، الصحفي أحمد إسماعيل، جريدة اليوم السـابع.

"علاقاتي بدأت تتزايد مع المهندسين والتجار والأطباء، وكنت أقوم بعمـل اجتماعات في العمل أناقش فيها أمور الدين وهذا لم يعجب رئيس الدير، وكان كارهًا لي أنا تحديدًا منذ 4 سنوات، وعشت أيام صعبة جدًا أنا وشـباب كثر من سني وكان أقربهم إليَ "فلتاؤوس" لأنه كان طيبًا ودخل معي الرهبنـة في نفس العام، وهو الآخر تعرض للظلم كثيرًا، ومع زيادة الضيوف الوافدة علي بدأت أستقبلهم بالمضيفة اللي في الدير لأن مساحتها أكبر وهذا ما زاد المشاكل بيني وبين رئيس الدير، وكان الرهبان أصحاب المضايـف يغلقون الباب في وجهي لدرجة أنـه في العام الماضي ظل الأنبا إبيفانيوس على مدار 3 شهور يراني في الدير دون السلام علي وهذا وضعني في ضغط نفسي وذهبت إليه في القلاية لسؤاله عن سبب تجاهلي فكان رده عنيفًا قائلًا: "أنت عارف اللي بتعمله ومجهزلك ملف جرائمك خارج الدير" وبعـد ذلك فوجئت أنه تقدم بشـكوى ضدي بدون أدنى سـبب لمجلس الأديرة، واتهمني فيها بالإتجـار في الأراضي والآثار، وأنني سرقت مخزن الجبنة والبيض، وأثبت التحقيق أني برىء".

" بعدها بأسبوع جلست معه لمحاولة التصالح، ولكنه رد عليّ نفس الرد السابق، وقال لي كلمة غريبة "أنا بالنسبة لي مفيش حاجة ولكن الموضوع في يد البابا تواضروس" والغريب أن قرار النقل من الدير جاء بعدها بـ 3 شهور وليس بعد التحقيق معي، وكان هناك 5 رهبان كبار دائمي الشحن ضـدي، ولم يكن يعلم رئيس الدير كيف كانـت الناس بتحبني في الدير، لدرجة أنه كان راسم 13 راهب في عهده، 9 منهم مضوا أني استمر في الدير، وبعد العودة في القرار ومساندة الرهبان الكبار لي أحس الأنبا إبيفانيوس

بأننـي كسرته أمام الجميع وزاد كرهه لي وحقده علي، وخاصة بعد معرفة هذا الموضوع في الأديرة ووسـائل الإعـلام، وعقب ذلك ظل يتجاهلني وحبسني في قلايتى 40 يومًا، وامتثلت لهذا القرار ونفذته، كما أصدر قرارا بإيقاف مشروع الدواجن الذي كنت أشرف عليه، وكان يمارس نفس هذه الأفعال مع صديقى الراهب فلتاؤوس، وأجبره على ترك 120 فدان زيتون كان يزرعهم وأجلسه عامين بدون عمل داخل الدير مما تسبب له في العديد من الأمراض، ومنها الضغط والسكر والمرض النفسى وعندما اشتكى له جعله يعمل في حظيرة البهائم مما أدى إلى زيادة سوء حالته النفسية".

"منذ شـهر وأثناء جلوسـى مع فلتاؤوس في قلايتي اشتكينا لبعض الـذل والمهانة وإهانـة إيبفانيوس لنا بدون سـبب وقررنـا التخلص منه واتفقنـا على أن نصلي من أجل أن يخلصنـا الله منه، واتفقنا أن ننتظره في المـكان الذي يمر منه دائمًا وأن نضربه، وكنا عارفين أنه كان دائم الذهاب لصلاة قداس الأحد، ويمشى بطريق مختصر ودائمًا ما يكون بمفرده، وأشار المتهم إلى أنه أحضر عصا حديدية ثقيلة ووضعها في مكان الواقعة واتفق مع فلتاؤس على التنفيذ وقتل رئيس الدير فجرًا، مضيفًا: وافق فلتاؤوس واتفق معي أن أقابله اليوم الثانى الساعة 3 فجرا بمنطقة القلايات، وكان دور فلتاؤس مراقبة الطريق فقط، وعندما تأكدت من خلو المكان أخذت العصا الحديدية من المكان الذي سبق وخبأتها فيه، وضربت بها رئيس الدير 3 ضربات متتالية على رأسه وذلك بعد أن أتيت من الخلف وتسللت دون أن يراني فضربته أول ضربة من ظهره، وبعد ذلك انحنى فضربته الضربة الثانية على رأسـه فوقع على الأرض وضربته الضربه الثالثة مرددًا "موت

وارتاح وريح الجميع" وألقيت العصا في نفس المكان، وكشف المتهم أنه حاول قتل الضحية مرتين قبلها ولم يتمكن من ذلك.

"ذهبت لقلايتى وفي الصباح خرجت إلى الكنيسة حتى لا يشك في أحد وفلتاؤوس لم ينزل ثم اكتشف الراهب إصابة رئيس الدير وذهبت معه وأبديت حزنى أمام الموجودين لإبعاد الشبهة عني.

واعترف إشعياء بمحاولته الانتحار أثناء عرضه على الطب الشرعى باستخدام سكين مطبخ، وأقر أنه حاول ذبح نفسه أكثر من مرة ولكن محاولته باءت الفشل، مضيفًا أن سبب محاولته الانتحار حالته النفسية وخوفه من الطرد من الرهبنة والتجريد لوجود تسجيلات جنسية مع سيدات، وقدم المتهم هاتفه المحمول للنيابة العامه بكامل إرادته وبالفحص تبين وجود محادثات عاطفية وجنسية مع سيدات على تطبيق الواتس اب، وكذلك تسجيل صوتى للمتهم بمناسبة عيد الأم وإذا أي أم تريد الزواج أو إقامة علاقة عاطفية فإنه مستعد لذلك، ونفى إشعياء إقامة أي علاقة جنسية مع السيدات الظاهرة أرقامهن على هاتفه المحمول، مؤكدًاأنه كان يسعى للزواج من إحداهن لحبه لها، وقال إن "معظم علاقاته مع السيدات كانت" بوس وأحضان بس "وأن هناك امرأة واحدة فقط هي التي مارس معها الجنس 3 مرات وحدث حمل"، معترفًا بمحاولة الانتحار مرة أخرى بتناول مبيد حشري موجود بمسكنه وخاص بمزرعة الدواجن المسئول عنها.

فلتاؤس المقاري.. المتهم الثاني

مرت الليلة الأولى على قرار الكنيسة تجريد الراهب إشعياء المقاري من رهبنته، وفي الصباح التالي دخلت قضية الأنبا إبيفانيوس فصلًا جديدًا إذ أقدم راهبٌ آخر بدير أبو مقار يدعى "فلتاؤس المقاري" على الانتحار.

كان فلتاؤس المقاري قريب الصلة بإشعياء الذي جرى تجريده من رهبنته وقد خضع لتحقيقات مكثفة في القضية إذ كان من الفريق المعارض لرئيس الدير، حيث ترهبن عام 2010 ضمن مجموعة أدخلها البابا شنودة الثالث للدير عقب وفاة متى المسكين في محاولة منه لتعديل التركيبة الفكرية لآباء الدير وإحكام السيطرة عليه، كما سبق ووقّع فلتاؤس المقاري ضمن حملة توقيعات لمنح إشعياء فرصة ثانية لتعديل سلوكه، حيث تراجع البابا عن قرار نقله من الدير، حتى صدر قرار تجريده وطرده من الرهبنة

فلتاؤس المقاري في الثلاثينيات من عمره، وكان يعمل مدرسًا للتاريخ

قبـل رهبنته في مدينة قليـوب بمحافظة القليوبية واسـمه بالميلاد ريمون رسـمي منصور، وبعد رهبنته دأب على إنتاج الأبحـاث العلمية المتعلقة بتاريخ الكنيسة القبطية وآبائها الأوائل.

بعد خبر انتحار فلتاؤس، جرى نقله لمستشفى الأنجلو أمريكان بالقاهرة في محاولة لإسـعافه وقد ذهبت للمستشـفى في محاولة للتعرف على حالته الصحية أو الالتقاء بأحد أفراد أسرته، فقابلت عمه الذي أبدى انزعاجه مما تنشره الصحافة من أنباء عن انتحار نجل شـقيقه، مؤكدًا أن هناك من حـاول قتله بدليل وجود آثار للحروق في جسـده، وقد تفهمت ذلك في إطـار الصدمة النفسـية التي تمر بها الأسرة، ثم قابلـت ممرضة كانت ممن اسـتقبله فور وصوله من وادي النطرون وقالت إن جسده يعاني من آثار قطع شريان ثم كسر في الساقين نتيجة السقوط من أعلى أما الحروق فهي مجرد سجحات حيث يعاني المريض من داء السكري الذي تسبب في تجلط دمه بهذا الشكل.

تدهورت الحالة الصحية لفلتاؤس المقاري وأصيب بغرغرينا في ساقه حتى جرى نقله لعنبر المحبوسين بالقصر العيني تحت إشراف النيابة، وفي أقواله اعترف بمحاولة الانتحار وقال

" أنا بريء من دم الأنبا إبيفانيوس وعلاقتي برئيس الدير طيبة جدًا، والدليل على ذلك أنه كان مراجع لي كتاب وقدم لي هدية كتابين.

وردًا على سـؤال المحقق عما قـرره الراهب يترونيوس المقاري النائب الأول لرئيـس الدير بالتحقيقات عن وجود خلافات حول أمور الرهبنة وطريقـة إدارة الدير، أجاب قائلًا: إن هناك بعض الخلافات الإدارية بينه وبين المتوفى تتمثل في وجود بعض الرهبان بالدير ينتهجون أفكار القمص متى المسكين التي تتعارض مع فكر الأنبا شنودة الذي كان البطريرك السابق ومثال هذه الاختلافات من الناحية الدينية هي أن الأول كان متشـددًا في التعاليـم الرهبانية وقرر عدم زيارة أهل الراهـب له في الدير نهائيًا إلا أن فكر الأنبا شـنوده وسـطي لا يمنـع ذلك أما ما عدا ذلـك فلا يوجد ثمة خلافات شـخصية بينى وبينه والدليل على ذلك إننى كنت أصلي معه في القداس الخاص بالأعياد.

"رئيس الدير كان بيعاملنى كويس جدًا لكن كانت هناك خلافات بينه وبين الرهبـان الكبار وليس الرهبان الصغار فقط، وهناك بعض الرهبان كانوا معترضين على كثرة سـفر المجني عليه وإدارته للدير وقاموا بإنشاء جروب على الفيس بوك ولم أشـترك في هذا الجروب وواحد منهم اشترك لي وأنا لغيت الاشتراك من الصفحة"(*).

ثم واجه محقق النيابة الراهب فلتاؤس بأقوال الراهب سرابيون المقاري عن وجود خلافـات بين رئيس الدير والرهبان وصلت لحد وضع البراز في مكان الأنبا إبيفانيوس، فأجاب فلتاؤس نافيًا وقال إن الخلافات كانت

(*) المرجع السابق.

بين الرهبان ورئيس الدير بسـبب إدارتـه للدير وعدم الاهتمام بهم وعقد اجتماعات لهم.

وواجهـت النيابة الراهب بما قرره المتهم الأول إشـعياء المقاري حول تعرضه للظلم الكبير من قبل رئيس الدير، فأجاب الراهب فلتاؤس قائلًا: الـكلام ده غير صحيح، وهناك مبدأ في الرهبنـة يقول "إن الطاعة واجبة حتى لو كان هناك ظلم"، وأن ادعاء إشـعياء المقاري ضدي بالاتفاق على قتل رئيس الدير وتجهيز أداة القتل هي محاولة منه لإشراكي في الجريمة.

واعترف الراهب فلتاؤس أمام النيابة العامة بمحاولته الانتحار باستخدام سـكين وقطع بها شرايين يـده الاثنين، وقال "ندمت بعـد ذلك على هذا الفعل ونزلت سريعًا وركبت سيارتي من أمام قلايتي وتوجهت للعيادة في محاولة لإسعاف نفسي وأثناء ذلك تقابلت مع عامل السويتش وطلبت منه النداء على طبيب الدير فقال لي إنه غير موجود فصعدت أبحث عنه حتى وصلت للدور الرابع وشـعرت بدوخة شديدة من كثرة الدماء وحاولت الإمساك بالسور بيدي الاثنين وتشبثت به ولم أستطع الاستمرار على هذا الوضع فسـقطت من الدور الرابع وحدثت إصابتـي، حاولت الانتحار بسبب الضغوط النفسية التي كنت أمر بها وحادث مقتل الأنبا إبيفانيوس وخشيتي من اتهام الأمن لي في القضية خاصة بعد توجيه عدد من الرهبان الاتهامات لي بقتل رئيس الدير الأمر الذي قد يقودني للإعدام".

وأصر الراهب فلتاؤس على نفي جميع الاتهامات الموجهة له بالتحريض أو الاشتراك في قتل الأنبا إبيفانيوس، وأكد أنه وقت الحادث كان في قلايته التي تبعد مسافة 2 كيلو متر عن موقع الحادث، وأنه عرف بخبر الوفاة من المتهم الأول إشعياء في الساعة الخامسة وأربعين دقيقة فجرًا عن طريق الهاتف، حيث قال لي نصًا "الأنبا إبيفانيوس تنيح" وغرقان في دمه، فقلت له "بسم الصليب".

في تلك الأثناء بدا الرأى العام القبطي مصدومًا وغير مصدق لما يحدث فقد كسرت تلك الحادثة الصورة النمطية لرهبان الأديرة، الصورة الطوباوية للرهبان، رجال الله المخلصون، الزاهدون الذين تركوا مباهج الحياة نحو موت عن العالم وفقر اختياري، تخلى طوعًا عن كل شيء من أجل البحث عن الخلاص مع الرب في تلك الصحاري القفار التي تمتلئ بأثر شيوخ البرية الأوائل، مؤسسي الرهبنة الذين حملوا على أكتافهم تلك الكنيسة العريقة، فقايضوا مستقبلها بدمائهم.

الصورة الذهنية عن هذا المجتمع المغلق الملئ بالأسرار تتكسر في عيون شعب الكنيسة، ويرجع ذلك إلى وجود بُعد متعلق بالثقافة المسيحية المرتبطة برجال الدين أو بالأخص الرهبان، ففي الموروث الثقافى القبطي هنالك مكانة كبيرة لرجال الدين، باعتبارهم أفراد "ماتوا عن العالم" ووهبوا ذواتهم لخدمة الإيمان والصلاة والتعبد في الجبال، فتكونت صورة طوباوية، نقية لا تشوبها شائبة عن جميع مرتدى عباءة الرهبنة، فبالتالي يصعب على الأفراد

المسـحيين الاعتقاد بأن أحد المنتمـين أو القريبين من هؤلاء (الملائكة) قد يقدم على ارتكاب فعل شنيع أو شّر عظيم".

البابا تواضروس يغضب مجددًا

بعدها بيومين، جاء موعد العظة الأسبوعية للبابا تواضروس التي يلقيها على شعب الكنيسة كل أربعاء، طمأن البابا تواضروس الثانى الأقباط، قائلا: "كل أديرتنا بخير، فلا تهتز، وحين وقع الحادث المؤلم الذي وقع للأنبا إبيفانيوس، انظروا له كجريمة، وأي جريمة بها مجني عليه وجاني، سواء أكان 10 أو واحد لا نعرف، والتحقيقات في الجريمة أمر عادي جدًا، والغرابة أنها وقعت في دير وفي حق رئيس دير، وبها مجني عليه وهو الأنبا إبيفانيوس وجانى لا نعرفه حتى اليوم".

"أي تحقيق تعمل عليه النيابة، يصبح هناك قضية وحكم، ومفيش حاجة للخواطر، "الجرائم مفهاش خواطر وليس لصالح أحد أن يتستر على أي خطأ، وأصدرنا قرارات لضبط الأداء الرهباني وسنصدر قرارات أخرى وعلى شعب الكنيسة أن يساعدنا في ذلك".

"البعض تسيَّب، نعم حدث تسيُّب، والراهب يعيش في الدير لأنه هو الذي اختار الحياة، مفيش واحد ضربناه على ايديه قولناله روح الدير، وهو السبب في قبول أي أخوة أو رهبنة وأوقفنا الدرجات الكهنوتية في الأديرة، عبر التاريخ، هناك رهبان سقطوا في الخطيئة، ضاربًا المثل: أيام القديس يوحنا ذهبي الفم سقط راهب في خطية فترك الدير من نفسه، والقديس يوحنا كان يعلم أنه سقط عن ضعف وصغر نفس، وسقط في بالوعة اليأس، فكتب له يوحنا ذهبي الفم رسالة تُرجمت في كتاب يحمل اسم "ستعود بقوة أعظم" فقرأ الرسالة وتاب بالدموع وعاد لديره ولم يخرج منه إلا بالدموع".

"القصص في التاريخ الرهباني كثيرة، والحروب أيضا كثيرة، ذهب راهب لمعلمه وقال له "مللت من الدير لأن إخوتي يضايقونني كثيرًا وأسمح لي أن أبنى قلاية خارج الدير"، فرد عليه رئيس الدير: "إن لم تكن تحتمل مضايقات الأخوة فكيف تحتمل محاربات الشياطين؟"، مشيرًا: في كل مجتمع يظهر يهوذا، وفي كل 12 شخص يظهر يهوذا، يهوذا يمثل الخيانة بكاملها، ولكن هناك من يخون بنسبة 40 % أو 10 %، وهناك خائن مثل يهوذا، فلا تهتزوا يا إخوتي، لا تهتزوا أبدًا، هناك الله ضابط الكل".

"لا تهتزوا سواء واحد انتحر أو منتحرش، وهو نفس ما فعله يهوذا حين خان أستاذه وإعرفوا أيها الأحباء أننا في الكنيسة لدينا ضمير ومسئولية أمام الله ولا نتحرك بفكر العالم أو سياسات العالم، وانتبهوا إلى الصفحات الصفراء".

"نشكر الله ليس لدينا ما نخفيه ومن يحمى الإيمان هو المسيح "مفيش حاجـة اسـمها كدا خالـص، الإيمان ليس سـلعة لكي تحميـه، والرئيس السيسى ذكر أن مصر تعرضت في شهر واحد لـ21 ألف شائعة في 3 أشهر وهي كلها ضد البلد والاقتصاد والسياسة والكنيسة".

إعرفوا أيها الأحباء، قيمة الأديرة القبطية في حياتنا الروحية، وقيمتها في مـصر، الأديرة واحـات صلاة تُصلي للعالم كله، وهي حارسـة لحدود مصر، وكلمة راهب تعنى إنسان يرهب وجه الله، جعلت الرب أمامي في كل حين، مضيفًا: نحن كبشر مازالنا تحت الضعف البشرى، وقد اختص المسيح بعض تلاميذه.

وتذكر البابا تواضروس يهوذا وقال: "حين سألوه، قال إن كل التعاليم نسيها والمعجزات لم تدخل قلبه، لقد دخل فيه الشيطان، وعدو الخير يحاربنا، فمـن خرج من العالم، ودخـل إلى الدير، ومسـئوليتكم جميعا أن تحافظوا على نقـاوة الرهبان والراهبات حتى مكالمة "التليفون" ملهاش لازمة، أو الهدية أو الزيارة "ملهاش لازمة"، لابد للكنيسة أن تضبط باستمرار الحياة الرهبانيـة، وهو أمر لا علاقة له بالقرارات التي اتخذناها بعدما اجتمعت لجنة الأديرة في ثلاث سـاعات، واتخذنا تلك القـرارات ولم أتخذها كبابا الإسكندرية منفردا".

"لدينا لجنة مجمعية تختص بشئون الرهبان والرهبنة والأديرة وتحدث مشـكلات كثيرة وتحلها، والتـي تحتاج تحقيقًا نحقق فيهـا ولا أحد يعلم

شـيئًا، ولدينا خطوات نتخذها لإصلاح حياة الراهب أو الراهبة، أحيانا ننذره وأحيانا ننصحه داخل ديره، وأحيانا يأخذ قانون يطبقه داخل قلايته "سكنه"، وأحيانا ننقله إلى دير آخر، وحين ينتقل راهب من ديره يعني أنه انتقـل من عائلته، وأحيانا ينقل نهائيا حسـب نوع الخطأ، وأحيانا يحدث التجريد أو الشلح إن كان كاهنًا وهي خطوات لازمة لضبط الحياة الرهبانية "الدنيا متبقاش سايبة".

الصائد في الماء العكر.. الأنبا أغاثون

لم يتوقـف الأنبا أغاثون أسـقف مغاغة عن محاربـة البابا تواضروس وتوجهاتـه الإصلاحية، ولا يترك أي مناسـبة أو فرصة لتحدي البابا إلا ويسـتخدمها ضده، في الوقت الذي هاجم فيه البابا جماعة كنسـية تلقب نفسها بـ"حماة الإيمان" دأبت على الهجوم على توجهات البابا وأفكاره عبر صفحات السوشيال ميديا، وأرسل لهم رسالة واضحة في عظته الأسبوعية، حيث قال: "الإيمان ليس سـلعة لكي نحميه وحامي الإيمان هو المسيح"، أراد الأنبـا أغاثون الرد على تلك العظة بل وقرارات لجنة شـئون الأديرة التي سبقتها على طريقته.

تبدو نية أسـقف مغاغة للهجوم على البابـا واضحة بل ومبيّتة، حيث جرى التنسـيق مع قناة "مي سات" الكنسية التي تبث فضائيًا ويشاهدها

الملايين لنقل عظته من أحد كنائس مغاغا في نهضة السيدة العذراء، رغم أن القناة تبث يوميًا احتفالات دير السيدة العذراء بدرنكة في تلك الفترة من العام التي تشهد صوم العذراء ومولد درنكة بأسيوط، إلا إنها انتقلت بمعداتها وفنييها إليه من أجل إذاعة تلك العظة التي كانت بمثابة دقة جديدة في طبول الحرب العلنية بين الأسقف والبابا التي بدأها من ناحيته دون أن يرد البابا عليه ولو تلميحًا.

في عظة الأنبا أغاثون المثيرة للجدل التي حملت اسم "أعمدة الكنيسة الخمسة" والتي لم تكن عظة ارتجالية بل كان الأسقف يقرأها من ورق أعده مسبقًا قال إن الكتاب المقدس وصف رسله "بالفلاحين والمزارعين والسقاة والفعلة وحماة الإيمان" معقبًا "صحيح حامي الإيمان هو الرب، ولكن من آئتمنه الله على الإيمان لا بد أن يحميه ويحرسه، الحارس هو الرب لكن من خلال الوكلاء، بولس قال إنه حامى الإنجيل".

واستشهد الأنبا أغاثون برسالة بولس الرسول لأهل فيلبي حين قال: هناك آية وردت مرتين في رسالة بولس لأهل فيلبى "كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، لأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي، فِي وُثُقِي، وَفِي الْمُحَامَاةِ عَنِ الإِنْجِيلِ وَتَثْبِيتِهِ" معقبًا: الرسل والكهنوت حماة للإيمان.

واعتبر أسقف مغاغا أن هؤلاء الآباء – ويقصد آباء الكنيسة – مسئولون أمام الله عن أملاكها ونفوسها وعقائدها وإيمانها وتمثيل الكنيسة نيابة عنها، مضيفًا: "لذلك المطلوب منا كآباء وشعب من جهة إيمان كنيستنا وعقائدها

أن نعيش الإيمان بالأفعال والأقوال لا بالتشكيك".

الأنبا أغاثون حذر مما وصفه بالمدارس الحديثة والتيارات الفكرية الخاطئة، ويمكن تفسير حديثه في الوقت الذي يروج فيه الكلام عن مدرستين كنسيتين الأولى التقليدية والثانية مدرسة التجديد التي ينتمى لها البابا تواضروس، فيقول الأسقف: "مطلوب مننا ليس فقط أن نعيش الإيمان بل أن نحافظ على إيمان الكنيسة من المدارس والتيارات الخاطئة الحديثة، كما أوصانا المسيح بواسطة رسله"، حين قال: "علموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به"، الحفظ هنا يعنى التطبيق، والحفاظ عليه، نحن مطالبون بالحفاظ على إيمان كنيستنا كما سلم لنا.

وفسر أسقف مغاغة حديثه قائلًا: لأن الإيمان ليس نظريات علمية، تحتاج تبديل وتطوير تناسب الإنسان وعصره، والتجديد في ثوابت الإيمان مرفوض، لأنه يتسبب في هدم الإيمان وضياع روحيات الناس والإلحاد، مضيفًا: "نجدد في الأسلوب أو الطريقة مفيش مانع، ونجدد في الأشخاص مفيش مانع، إنما نجدد في الثوابت لا مينفعش".

وعاد الأنبا أغاثون للاستشهاد بأقوال بولس الرسول حين خاطب أحد تلاميذه قائلًا: "مقدما في التعليم نقاوة"، موضحًا: "يعنى متبقاش حاجة داخلة في التعليم مش مظبوطة، الإيمان أودعه الله لأناس أكفاء يكونوا أمناء ليعلموا آخرين أيضا، لكي يوصلوا إيمان الكنيسة، لكن ميبقاش واحد إيمانه مش مظبوط ونقوله عالم دا هيبوظ الإيمان".

وزاد الأنبا أغاثون قائلًا: "لا تفرط في إيمانك أبدا ولا تسمع لمن يعلم خطأ، نحن مطالبون بالدفاع عن إيماننا في أوقات الهجوم عليه والتشكيك فيه وذلك بتقديم التعليم الصحيح وبالطرق المشروعة".

في حين واصل الأنبا أغاثون هجومه على قرارات المجمع المقدس والتي كان آخرها إيقاف الدرجات الكهنوتية بين الرهبان لمدة ثلاث سنوات، معتبرًا الكهنوت أحد أعمدة الكنيسـة، قائلًا: "من خلال الكهنوت وعمله يتم تقديس الأسرار الكنسية، والصلوات الطقسية ويصل خلاص المسيح للناس، فلا غنى إطلاقا عن الكهنوت لمناهج وعمله في الرعاية والخدمة".

استغل الأنبا أغاثون الهجوم الضارى الذي يشنه التقليديون على القس الدكتور باسيليوس صبحي وكيل الكلية الإكليريكية وهي الكلية التي تقدم العلم اللاهوتى والدينى للكهنة، وقال إن الكلية تحتاج أن تتماشى مع إيمان الكنيسة وعقائدها وليس العكس، وتحدث عن معلمي الكلية الإكليريكية ملمحًا: "ولا يكون لهم علاقات أو ميول مع المدارس الحديثة والتيارات الخاطئة، لكي يستطيع أن يقدموا تعاليم صحيحة تعد قادة في رتب الكهنوت لخدمة الكنيسة وشعبها، وتواجه المدارس الخاطئة وأصحابها".

البابا شنودة يطل من قبره

هدوء مؤقت شـهدته الكنيسة عقب انتهاء التحقيقات في قضية مقتل الأنبا إبيفانيوس رئيس دير أبو مقار، ثم ظهر الأنبا سرابيون مطران الكنيسة القبطية في لوس أنجلوس في حوار تليفزيونى أذاعته قناة لوجوس القبطية التابعة للكنيسة رسـميا - التي تبث من أمريكا - في حلقة بعنوان "مقتل الأنبا إبيفانيوس" لتكسر حالة الهدوء وتعيد الكنيسـة للقلق من جديد في الثامن والعشرين من أغسطس الماضي.

رفض الأنبا سرابيون مطران لوس أنجلوس إرجاع أسباب قتل الأنبا إبيفانيوس للخلافات العقائدية أو ما يمكن تسميته اصطلاحًا الخلاف بين فريقي البابا شنودة والقمص متى المسكين الذين يعيشون معًا بين أسوار دير واحد، حيث برّأ الأنبا سرابيون البابا شنودة من أية أخطاء إدارية قد يكون ارتكبها أثناء إدارة ملف دير الأنبا مقار، وقال المطران إن الذين يشيرون إلى وجود خلاف عقيدى بين رهبان الدير يحاولون التنفيس عما في صدورهم

ضد البابا شنودة قائلًا: "لا وجود لرهبان شنوديين ومتاويين وهذا أمر لا أساس له من الصحة"، لأن بعض الرهبان ليس لهم آراء لاهوتية محددة حتى إن الراهب المجرد "إشعياء المقاري" المتهم بالقتل"، قد ظهر من قبل على قناة بروستانتية وشاركهم الصلاة بوضع اليد على الهاتف وإن كان البابا شنودة حيًا لحقق معه ونال جزاءه، فتوجهات البابا شنودة معروفة في هذا الأمر، فلماذا يوصف الراهب بالشنودى".

ووفقا للأنبا سرابيون فإن القمص متى المسكين وضع نظامًا رهبانيًا له مميزاته وله عيوبه فقد حاول إعادة الرهبنة لعصورها الأولى ويقول "حين كنت راهبًا في دير الأنبا بيشوي كان يأتينا رهبانا من دير الأنبا مقار لأنهم لا يستطيعون احتمال هذا النظام"، وهو نفس التعليق الذي ذكره البابا شنودة في تسجيل قديم له حين سألوه عن رأيه في دير الأنبا مقار، محذرًا من الانضمام لهذا الدير الذي يُخرج رهبانًا يتلقون علاجًا نفسيًا.

سرد الأنبا سرابيون – من وجهة نظره – ما حدث عقب وفاة القمص متى المسكين، فقد حدث خلل في النظام الرهباني، وطلب الأنبا ميخائيل رئيس الدير إعفائه من مهمة الإشراف عليه، أراد البابا شنودة الإشراف على الدير بنفسه من "محبته للدير"، وهو الأمر الذي ينفيه التاريخ والوقائع بل وتسجيلات بالفيديو لعظات البابا شنودة نفسه ينصح فيها شباب الأقباط بالبحث عن أديرة أخرى إذا ما أرادوا الرهبنة.

الأنبا سرابيون أعفى البابا شنودة تمامًا من مسئولية "رسامة الرهبان"، حيث عمل البابا على رسامة دفعتين من الرهبان أحدهما دفعة 2010 التي ينتمي لها الراهبين "إشعياء" و"فلتاؤس" المقاري المتهمين بالقتل، إذ اعتبر أن مهمة البابا هي صلاة الرسامة فقط.

"دخوله الدير هي مسئولية من أدخلوه ثم حدث انحراف في حياة هؤلاء الرهبان متسائلا عن مدة الـ6 سنوات التي قضاها الأنبا إبيفانيوس رئيسا للدير من 2013 حتى 2018 لماذا لم يتم علاج هذه الانحرافات؟"، ثم نلقي المسئولية على من رسمه مستشهدًا بالسيد المسيح فهو ليس مسئولًا عن خطية "يهوذا"، على حد تعبير الأسقف، ولجنة الرهبنة أدانت إشعياء المقاري في فبراير الماضي، وأصدر البابا تواضروس قرارًا بنقله من الدير لمدة ثلاث سنوات"، وأشار إلى واقعة جمع إشعياء لتوقيعات من 43 راهبًا طالبوا بالإبقاء عليه بينهم، معتبرًا أن هذا الأمر دليل على وجود حزم في الأمور لأن الكنيسة لا تدار بالالتماسات الموقعة من الرهبان، مما دفع البابا تواضروس لإصدار قرارات حاسمة ضد هذا التسيب.

وعاد مطران لوس أنجلوس مرة أخرى إلى التأكيد على أن وجود فريقين من الرهبان "شنوديين ومتاويين" يعتبر تزييفًا للحقائق وقال"أوقات الدير يترك رهبانه يصولون ويجولون خارجه دون ضبط".

تصريحات الأنبا سرابيون التي لاقت قبولًا لدى أقطاب التيار التقليدي في الكنيسة من تلاميذ البابا شنودة، دفعت القس يوئيل المقاري الراهب بدير أبو مقار للحديث عنها في تسجيل صوتي أرسله للأنبا سرابيون إلا

أن الأخير سرب التسجيل على الانترنت وبدأ تداوله بشكل مفاجئ على مواقع التواصل الاجتماعى.

التسجيل الصوتي الذي وقّعه الراهب يوئيل باسمه في النهاية، قال فيه إن المشكلة ليست عقائدية ولا لاهوتية بالفعل، ثم بدأ في تفنيد أقوال المطران والرد عليه مؤكدًا أنه وزملاءه كانوا يعيشون حياة رهبانية حقيقية مع القمص متى المسكين، فهناك من لم يحتملوا هذه الحياة فذهبوا لدير الأنبا بيشوي وهو كلام قد لا يكون في صالح "أبونا متى"، ولكنه يعنى أننا عشنا حياة رهبانية صادقة، مضيفًا: 30 راهبًا أو أكثر تركوا الدير ولكن 80 وأكثر استمروا فيه.

كشف القس يوئيل المقاري، في تسجيله عن جلسة جمعته بالآباء أساقفة الكنيسة في نفس يوم الحادث حيث تم تكليفه بذلك وقال: "أبلغت الأساقفة أن التسيب الذي وقع في الدير بعدما دخله البابا شنودة الثالث ويقصد زيارة البابا شنودة للدير عام 2009 وإخضاعه له"، "هذا التسيب هو ما تسبب في ما حدث"، وكانت هناك مجموعة من الرهبان يرغبون في حياة الفوضى تحت ادعاء الحرية وحتى في حياة القمص متى، لقد سمعتها من أحدهم: فاكرين الدير هيبقى ليكم انتوا، انتوا كبرتوا في السن وهتموتوا والدير هيبقى لينا إحنا"، ماذا يقصد بهذا الكلام هل سيستمر الدير لاهوتيًا أم سيعيشون حياة الفوضى، فقد كان بيننا من يعيش بهذه الروح في الدير وينتظرون فرصة الانفلات الرهبانى وهذا ما تم لهم، القمص متى توفي، وانتظروا هذه الفرصة التي أتاحها لهم البابا شنودة حين قال لهم أشياء كثيرة

من بينها "لا تستمعوا لكلام الشيوخ الكبار" ويقصد آباء الدير القدامى، الأنبا سرابيون راهب وأب للرهبان ويؤسس ديرًا ويستطيع تقييم خطورة هذه العبارات، فالبابا شنودة قال لنا "أنا جاى أخرجكم من القمقم اللي كنتم فيه"، فسألته أي قمقم تقصد يا قداسة البابا؟ مستنكرا هل الرهبنة قمقم؟، الرهبنة التي يسميها البابا تواضروس رهبنة الكفن هل هي قمقم؟، ألم يدخلها الراهب باختياره، وما جرى في الدير ليس حرية بل خطية وكل من يعمل الخطية عبد للخطية؟ أي حرية يدعو لها؟

لم يكن لدينا أي ملكيات خاصة أما اليوم فالرهبان لديهم سيارات هذا هو الخروج من القمقم، الرهبان امتنعوا عن العمل، واستباحوا الخروج والدخول من الدير دون أي قيود والمبيت عند أهلهم وربما غير أهلهم وربما حدثت أشياء سيئة أعتذر عن ذكرها، وهذا كله وقع بعدما أعطى البابا شنودة الضوء الأخضر لهذه التصرفات الحمقاء.

ما عشناه مع القمص متى المسكين هو نفس ما قننه البابا تواضروس في قراراته الـ12 لضبط الرهبنة، وهو نفس الورقة التي قدمها رهبان دير الأنبا مقار لمؤتمر الرهبنة الأول في الكاتدرائية، وهذا ما عشناه ونتمنى أن يستمر، "سأذكر قصة يندى لها الجبين، كنا نجلس مع مجموعة من الأساقفة في مؤتمر الرهبنة واستمعنا لما قيل عن الكهنوت ومرتبات الرهبان، فقد كانوا يتساءلون متى نرسم (نعين) الراهب قس أم قمص؟، وهو ما لم نعيشه مع القمص متى، فقد رسم (عين) عدد قليل من الرهبان كهنة لمساعدة الأب كيرلس المقاري، أما أنا فرسمت كاهنًا بعد 37 سنة رغمًا عن أنفي،

وكان الكهنـوت دون مرتبات فلم نحصل على مرتبات في أيدينا، وكانت رواتبنا 150 جنيها، ولكن المال دخل ديرنا وهو أصل كل الشرور، وتسبب في هذا الشر الجسـيم وحدث ما حدث، الرهبان بحثوا عن المال وأقاموا علاقات مع الجنسين وإلخ.

كان الأنبا إبيفانيوس حزينًا جدًا حين رأى كل ذلك، سمع قداسات في الحصن، وتساءل ماذا سأفعل في تلك التركة؟، هل أستطيع أن أمنعهم؟، وذهـب إلى قداس يوم الأحد الجميل الـذي كان يجمع كل الرهبان، كان الأنبا إبيفانيـوس رقيقًا جدًا وبصعوبة يتخذ أي قرار ونحن لا نسـتحقه فمكانه في السـماء، مضيفًا: هذه الجفوة الروحية وسّعت للمنفلتين فرصة الحرية والانفلات والخروج من الدير وجمع الأموال وامتلاك السيارات، وتجديد القلايات والأسقف إبيفانيوس صامت ماذا سيفعل بهؤلاء الذين حصلوا على هذه الحرية من البابا السابق؟

بعدهـا بيوم واحد فقط، تقدم الأنبـا سرابيون مطران لوس أنجلوس بشكوى رسمية للجنة شئون الرهبنة يتهم فيها القس يوئيل المقاري، بالنيل من البطريرك الراحل البابا شـنودة الثالث، الأمر الذي دفع المقاري لنشر اعتـذار خطي مكتوب يؤكد فيه أن التسـجيل المسرب كانـت إجابة منه لشخص ما استفسر عما ذكره الأنبا سرابيون في حواره التليفزيوني، معتذرًا عما وصفه بالإساءة غير المقصودة للبابا شنودة قائلًا: "أكن له كل احترام وتقدير لأنه أبو الكنيسـة"، ولكن هذا الاعتذار لم يعفي المقاري من قرار الإيقاف عن ممارسة الكهنوت لمدة عام كامل.

حرب المستندات الكنسية

على نفس الصفحات على موقع فيس بوك التي سبق وحذر منها البابا تواضروس انتشرت تسريبات تتهم الراهب القس يوئيل المقاري، بالضلوع في أزمة دير آخر وثيق الصلة بدير الأنبا مقار، هو دير الأنبا مكاريوس بوادي النطرون غير المعترف به كنسيًا حتى اليـوم، إذ كان الدير الواقع في زمام محمية وادي الريان الطبيعية بالفيوم، ضمن أديرة عمرها وأقام بها القديس متى المسكين مع جماعته الرهبانية عام 1950، وكان من بينهم الراهب القس اليشع المقاري الذي سيحاول إعادة الحياة الرهبانية لهذا الدير مرة أخرى بعد سنوات من هجره وتحديدا عقب وفاة القمص متى المسكين.

التسريبات التي انتشرت كانت مستندات مرسلة للكاتدرائية المرقسية بالعباسية موقعة باسم "مجموعة من رهبان دير أبو مقار" بتاريخ 20 سبتمبر 2008 أي بعد عامين من وفاة القمص متى المسكين، وتتهم الراهب القس

يوئيل المقاري برسامة رهبان في دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان، وهو أمر مخالف لقرارات المجمع المقدس.

المستندات المسربة ضمن الحرب الدائرة ضد القس يوئيل المقاري، تتهمه أيضا بالمشاركة في إنشاء دير راهبات بوادي النطرون مع الأب إليشع، وبيت للمغتربين في القاهرة، إلا أن ظهور هذه المستندات جاء كرد فعل لما قاله القس يوئيل عن البابا شنودة.

لا تؤمن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمبدأ العصمة البابوية، الذي هو عقيدة كاثوليكية تم إقرارها في المجمع الفاتيكاني الأول عام 1870، وتقر هذه العقيدة بأن البابا له سلطة شرعية على الكنيسة الكاثوليكية كلها، لذلك وتحت شروط محددة فهو منزه عن الخطأ من قبل الله في مايخص قضايا تعليم الإيمان والأخلاقيات التي أرادها الله للكنيسة، المبدأ الكاثوليكي السابق كان من بين المبادئ التي رفضها القس مارتن لوثر في ثورته الإصلاحية ضد تعاليم كنيسته والتي انتهت بالانفصال عنها وتأسيس الكنيسة الإنجيلية منذ نصف قرن.

فيما تكشف الأحداث المتتابعة أن جماعات كنسية تنشط على مواقع التواصل الاجتماعي ولها صفحات محددة ومعروفة بالاسم، تروج دون وعي لمبدأ العصمة البابوية، فهي تساوي تفاسير وآراء وأفكار البابا شنودة بالعقيدة نفسها، ومن ثم تعتبر كل من اختلف معه مارقًا وينبغي محاكمته.

كما أن ظهور مستندات قديمة ضد الراهب يوئيل المقاري بعد أيام من انتشــار تسريب صوتي له يكشف عن منهجية الصراع الدائر في الكنيسة، الطرف الذي سرب المستندات يهدف بلا شك إلى الانتقام من القس يوئيل بعدما اتهم ضمنيًا البابا شنودة بالتسبب فيها وصفه بانفلات أدى لمقتل رئيس الدير، وهو ما يدعو للتساؤل عمن يسرب تلك المستندات، ومن يمتلك أرشيفًا للمؤسسة الكنسية التي عُرف عنها التحفظ لسنوات طويلة.

زينون المقاري.. وفاة غامضة أخرى

بعد حرب المستندات بأيام، دخلت قضية الأنبا إبيفانيوس نفقًا جديدًا، أعلنت الكنيسة يوم الأربعاء السابع والعشرين من سبتمبر 2018 وفاة الراهب القس "زينون المقاري" بشكل غامض في قلايته (سكن الراهب) بعدما تم نقله من ديره بوادي النطرون إلى الدير المحرق في الصعيد، وكأن لعنة حادث قتل الأنبا إبيفانيوس تطارد من اختلفوا معه في كل مكان وفي أي وقت.

زينون الذي توفي في غرفته بالدير المحرق بأسيوط بعدما شكا آلامًا مبرحة بالبطن، كان يطبق قرارًا من لجنة الأديرة بالمجمع المقدس، التي قررت نقله خارج دير أبو مقار بالنطرون بعدما كان جزءًا من جبهة اعتادت إثارة المشكلات مع رئيس الدير المقتول.

بعد تلك الوفاة الغامضة بشهور، كشف تقرير الطب الشرعى عن

وفاة الراهب بالســم حيث ظهرت آثار القيء المسموم على ملابسه، وقد رجح التقرير الذي تم التحفظ عليه بشكل كبير ونشرته بعض الصحف، وفاة زينون نتيجة ســم دُس له في الطعام ولم يتناوله بنفســه، وهو ما يفسر محاولات أطراف في الكنيســة الدفــع في اتجاه انتحار الراهب نتيجة تناول مبيد حشري.

تناول المبيد الحشري الذي روجت له أطراف تُعادي البابا تواضروس صراحة، تبين كذبه بعد تقرير الطب الشرعى الذى حلل دم القتيل وكشف عن تغلغل السم في أنسجته وهو ما يطرح علامة استفهام أخرى عن من قاد عملية اغتيال زينون إن صحت التسمية خاصة وإنه كان من بين شهود الإثبات فى قضية مقتل الأنبا إيبفانيوس، وقيل إنه أبلغ زملائه فى الدير أن إشعياء هو القاتل وأن هذا الأمر غير مستبعد نتيجة علاقة تربطه بإشعياء إذ كان أب اعترافه وكاتم أسراره.

موت زينون قبل يومين من إدلائه بشهادته في القضية 805 مقتل الأنبا إبيفانيوس تطرح أسـئلة أكثر من إجابات وربما تكـون أكثر غموضًا من قضية الأنبا إبيفانيوس نفســه، وإن كانت كل الأدلة تشـير إلى أنها ستُقيد ضد مجهول.

الراهب زينون المقاري اســمه بالميلاد فريد شحات فهيم فرج الله من مواليد الجيزة في 1 مارس عام 1975 وهو حاصل على ليسانس آداب قسم لغة فرنســية، وانضم لدير القديس الأنبا مقار بوادي النطرون عام 2006

وهو العام الذي توفي فيه القمص متى المسكين، وخدم "زينون" في مضيفة الدير ثم في المخبز، ثم عمل كمترجم للسياح من زوار الدير خاصة عن اللغة الفرنسية، وتم تكليفه بالكتابة عن دير أبو مقار باللغة الفرنسية حيث يهتم دير أبو مقار بالتواجد الدولي في المحافل البحثية اللاهوتية.

في فبراير 2010 ترقى زينون لدرجة القس حيث قرر البابا شنودة منحه درجة الكهنوت مع عشرة آخرين وذلك في أعقاب السيطرة على الدير وإعادته لسطوة الكنيسة مرة أخرى عقب وفاة القمص متى المسكين الأب الروحى لرهبان الدير، من بين من حصلوا على نفس درجة الكهنوت "قس" مع زينون المقاري، الراهب القس يعقوب المقاري الذي ترك دير الأنبا مقار وأسس دير الأنبا كاراس واستولى عليه وأصدرت الكنيسة قرارًا بتجريده من رهبانيته وشلحه بعد فشل محاولات استتابته وإعادته لها، وكان زينون ينتمي لجبهة الرهبان الشنوديين، الذين اعتادوا افتعال المشاكل مع رئيس الدير المقتول الأنبا إبيفانيوس.

في العام 2017 تم ندب الراهب القس زينون المقاري للخدمة في باريس، حيث كان يصلي في كنيسة مارمينا وأبو سيفين بكولومب تحت إشراف الأنبا مارك أسقف باريس، ونظرًا لندرة من يجيدون اللغة الفرنسية في الكنيسة القبطية، فإن الكاتدرائية تنتدب من وقت لآخر رهبان يجيدون لغة الدولة المكلفين بالخدمة فيها أو كهنة حتى يتسنى لهم الصلاة باللغتين العربية والفرنسية.

خدم زينون في الكنيسة القبطية بفرنسا فترة قصيرة مستغلًا طلاقته في اللغـة واهتم بخدمة الأطفال الذين لا يعرفون العربية ولا ينطقون بها ثم قرر العودة لدير القديس الأنبا مقار دون أن يتم الإعلان عن الأسباب.

وقال الأنبا مارك أسقف باريس في فيديو يُظهر حفل توديعه بالكنيسة أن القس زينون تمتع بأخلاق رفيعة وتفانى في الخدمة ولكنه اشتاق للعودة لديره قبل أن تنتهى فترة تجربته هنا، ثم قال زينون في الفيديو نفسه إنه عائد إلى مصر بكامل إرادته ولم يحدث أي خلافات بينه وبين الأنبا مارك الذي يشـاركه الصلاة داعيا الجميع لمسامحته والغفران له إن أخطأ وزيارته بدير الأنبا مقار حين يعودون لمصر في أي إجازات.

في فبراير 2018 يظهر اسم زينون مرة أخرى في مستند كنسي، وتحديدًا في الخطاب الذي يخص "إشعياء المقاري" المتهم بقتل الأنبا إبيفانيوس، حيث نشر الخطاب في أحد المواقع الإلكترونية التي تدار من التيار المعادى للبابا، الخطاب كان عبارة عن توقيعات لـ45 راهبًا يطلبون من الأنبا إبيفانيوس الصفح عن "إشعياء المقاري" بعد صدور قرار باباوي بنقله لدير الزيتونة بالعبور في أعقاب التحقيق معه من لجنة باباوية.

هنـاك من يـروي أن زينون المقاري كان من بين مـن تدخلوا للصفح عن "إشـعياء" لدى الأنبا إبيفانيوس من أجل تهدئة الأجواء خاصة وإن "زينون" راهب قس بينما إشـعياء مجرد راهب فقط، فإن النظام الكنسي يسمح لزينون أن يُصلي ويرأس القداس بل ويستمع لاعترافات الأخرين

ضمن سر الاعتراف الكنسي ومن ثم قيل إن القس زينون كان أب اعتراف الراهب إشعياء المقاري.

ضمن أوراق التحقيقات في قضية مقتل الأنبا إبيفانيوس، ذكر الراهب فلتاؤس المقاري المتهم الثانى في القضية اسم الراهب زينون وقال إنه كان من بين الرهبان الأعضاء في جروب على "واتس آب" ضمه مع 17 آخرين.

حاول البابا تواضروس إصلاح ما أفسده الزمن في دير الأنبا مقار الذي تحول مع التحزبات والصراعات الداخلية إلى ساحة حرب، لم يستطع الأسقف المغدور الأنبا إبيفانيوس السيطرة عليه بوداعته وطيبته إذ لم تسمح له طبيعته كباحث متعمق وراهب حقيقى الانخراط في مثل هذه الأحداث الجارية حوله، فقد كان دائم النصح للرهبان يطلب منهم الابتعاد عن شهوات الحياة وهمزات الشياطين يستنكر رغبات الرهبان في الاستحواذ على المناصب والترقية للكهنوت ويرى أنها شهوة فانية وحرب أن عرفت طريقها للرهبنة ضاع معنى الفقر الاختياري والموت عن العالم من أجل البحث عن الله.

البابا تواضروس قرر إصلاح الرهبنة وإعادتها لحياة الانضباط مرة أخرى واثقًا في قدرة الكنيسة الكبيرة على رأب أي صدع ومواجهة أي أزمة بعدما مرت بآلاف المشاكل والأزمات عبر التاريخ متمسكة بقوتها ووحدتها وتماسكها الذي تُروى عنه القصص والمرويات، كنيسة عمرها ألفا سنة لن يهزها حادث، هي كنيسة الله ووديعته.

بموجب قرار البابا تواضروس انتقل "زينون" إلى الدير المحرق بمركز القوصية بمحافظة أسيوط، دير آخر ذو طبيعة مختلفة، أديرة الصعيد لا تشبه أديرة الوجه البحرى فلكل شيخ طريقته ولكل صحراء شيوخها، في الدير الذي شهد بناء أول مذبح لكنيسة على أرض مصر ذهب "زينون"، الذي شهد له زملائه بالهدوء وتقبل القرار ولكنه كان منعزلًا حتى يألف حياته الجديدة مع إخوته الرهبان الجدد.

هناك من يريد أن يُحمل البابا تبعات الوفاة الغامضة للراهب رغم أن البابا تواضروس كان محقًا حين قرر إبعاد كل من له علاقة بالقضية عن مسرح الأحداث حتى يعود لدير الأنبا مقار هدوئه وصفائه مرة أخرى، لم يخطئ البابا حين أراد إصلاح الرهبنة القبطية وإعادتها لمسارها الصحيح ولكن بعض الأطراف تحاول تحميله تبعات قراراته الإصلاحية التي لا بد وأن تهدد مصالح اقتصادية وتحالفات داخل الكنيسة، فتسعى تلك الأحزاب المتضررة من الإصلاح للتمترس ضد البابا وتهييج الرأى العام القبطي ضده، وهو رأس الكنيسة الأكبر والمسئول الأول عنها في أداء منظم وممنهج على طريقة المؤامرات، دون النظر إلى أن كل ما يحدث يضر بالكنيسة نفسها.

في أربعين الأنبا إبيفانيوس

وفي الكتاب التذكارى الذي وزعته الكنيسة القبطية على الحاضرين في الذكرى الأربعين لرحيل الأسقف الأنبا إبيفانيوس، كتب رهبان الدير وآباء وقساوسة الكنائس المسيحية الأخرى شهادتهم عن الفقيد الذي كان أحرص الأساقفة على التواصل مع كافة الكنائس المسيحية ومن بين أشهر من كتبوا في هذا الكتيب القس سامح موريس راعي الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، الذي اعتبر أن مقتل الأسقف الراحل جاء بسبب ما وصفه بالعمى والجهل الذي أدى للكراهية بين المختلفين في الدين، والمختلفين في الطائفة وامتدت ليشمل المختلفين في الفكر داخل الدين والطائفة والكنيسة وحدها.

ووجه موريس رسالة للقاتل كتب فيها: "أنت تظن يا عزيزي القاتل وأنت تكسر قارورة الطيب أنك بهذا الفعل الخسيس تفسد الطيب، ولكنك لا تعلم أنك بهذا جعلت الطيب يفوح في أرجاء كنيسة مصر، بل في كل العالم،

أحب الأنبا إبيفانيوس الجميع، وهكذا فعلوا به ظانين أن حبه انتهى بحجزه وراء حجر، لكن الأنبا إبيفانيوس قدم نفسه شهيدًا للمحبة، وعلى الكنيسة كلها أن تتوقف أمام هذا الحادث الجلل وأن يكون عبرة للتاريخ

فيما كتب الأب جون جبرائيل أحد رهبان وعلماء دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة شهادته تحت عنوان "هل أطفأت طيور الظلام نور الكنيسة وكوكب البرية؟"، وجاء فيها أن القاتل ومَن دفعه هم من أولئك الذين سمحوا للكراهية والحقد بأن يعششا في قلوبهم، وللتعصب أن يعمى أبصارهم، بعد أن ارتووا من تعاليم أساقفة جهلة ادعوا العلم وادعوا معرفة اللاهوت وادعوا القداسة بحركات بهلوانية خادعة في وسط شعب تنهش الأمية المدنية والدينية عقله ولحمه.

ورأى الدومنيكانى، أن تلك الجريمة دليل على اقتراب كنيسة مصر من كنيسة العصور الوسطى لأن يد الاغتيال طالبت الأنبا إبيفانيوس وأوقفت إنتاجه الفكرى مختتمًا شهادته: "مقتل أبينا إبيفانيوس هو تهديد سافر لكل من تسول له نفسه قول الحق وفضح الزيف في الكنيسة".

هدنة مع الدير

بعد كل تلك الأحداث المتعاقبة وبمجرد أن سمح الأمن بزيارة الدير، تواصلتُ مع أحد رهبان الدير وقررت زيارته مرة أخرى بعد زيارة سابقة سريعة، ولعلها الزيارة الأولى بعد الحادث.

عنـد لافتة "دير أبومقار" التي تطل من بين غابة شـجرية في منتصف طريق مصر الإسكندرية الصحراوى، انحرفت بنا السيارة يمينًا وعبرت بوابات أمنية وحواجز حديدية حتى أخذتنا إلى طريق شجري آخر، يصل بنا إلى بوابة الدير الرئيسية، حيث كانت الأشجار المتساقطة تكسو الطريق، بينما النخل على اليسار أصله ثابت وفرعه في السماء.

تشبه الأشجار المتسـاقطة حالة الدير، الذي تخلص من شجره الذابل فبدأ العمال في كنسـه، بينما ظل النخل ممتدًا يعانق السماء ولا يعبأ بما يدور على الأرض، هكذا كان الدير الأزمة الذي تتصدر أخباره عناوين الصحف

المصرية والأجنبية، بعدما شـهد في نهاية يوليـو 2018 جريمة مقتل الأنبا إبيفانيـوس رئيس الدير على يـد اثنين من الرهبـان، فانتقلت أخباره من صفحـات العلوم كمنارة علميـة وبحثية ولاهوتية ربـما هي الوحيدة في الكنيسـة القبطية، وذهبت به إلى صفحات الحوادث كمسرح لجريمة قتل هي الأخطر في تاريخ الكنيسة الحديث.

واصطفت السيارة، وعبرنا بوابة الدير، حيث كان ينتظرنا راهب شيخ يضع على رأسه القلنسوة القبطية، ويرتدي جلبابه الأسود البسيط مبتسمًا بوداعة الزاهدين العلماء، تلاميذ متى المسكين وخلفائه الذين كان الشهيد الأنبا إبيفانيوس زهرتهم جميعًا.

وأشـار الراهب الشيخ بيديه لقوس أثري في مدخل الدير وبدأ يروي تاريخ اكتشافه فقال إن العام 1969 شهد اكتشاف هذا القوس الذي كانت الرمال تغطيه من كل اتجاه فلا يبين له رأس من ذيل، وظل مغمورًا بالرمال عشر سنوات، قبل أن يقرر البابا كيرلس السادس أن يرسل القمص متى المسـكين وتلاميذه من الرهبان لتعمير الدير وإعـادة الحياة الرهبانية فيه، فما كان من القمص متى إلا أن اسـتدعى مقاولًا ليزيح التراب الذي كان يهدد باقي مباني الدير وكنائسـه الأثرية، فطلـب الرجل مبلغًا كبيرًا جراء ذلك، قابل الرهبان طلباته بالصلاة والتضرع للمقارات الثلاثة، آباء الدير، القديـس الأنبا مقار الكبير، والقديس مقار السـكندري، والقديس مقار الأسـقف، وحين بدأ الرجل العمل على إزاحة الرمال ظهر القوس الذي

تبـين أنه المدخل الرئيسي للدير ويعود تاريخه للقرن السـابع الميلادى، ثم رفض المقـاول أن يتقاضى أجرًا جراء ذلك بعدما حلت بركة القديسـين عليه وعلى عمله، ثم تمكن رهبان الدير من دارسي الآثار من ترميم القوس الأثرى من أجل تثبيته حتى يظل قائمًا في مكانه حتى اليوم.

سار بنا الراهب الشيخ، من قوس الدير وبوابته الأثرية حتى الكنيسة الأولى، كنيسـة الأنبا مقار، خلع نعليه على الباب وكذلك فعلنا، فتح بابًا خشبيًا قديمًا، ثم دخل ناحية هيكل الكنيسة الأثرى، وعلى اليسار أجساد المقـارات الثلاثة آباء الدير، رهبان البرية الأوائل، من تركوا الدنيا لأجل البحث عن الله في الصحـراء، فصار لهم أتباع وتلاميذ ومريدون يهتدون بهديهم، ويستظلون بنورهم، بينما كان قنديل يتدلى من سقف الكنيسة يزيد النور نورًا، وحولهم على الحائط رسم لطاووس منتفخ بريشه البهي، يسقط كل عام، ويتجدد مرة أخرى، دلالة على القيامة والحياة الأخرى بعد الموت كما يقول الراهب الشـيخ، وجواره رسـم آخر لنبات الكرمة الذي تؤخذ منه كؤوس سر التناول.

وقف الراهب الشيخ أمام هيكل الكنيسة الأثري، باب خشبي برسوم إسلامية وصلبان منحوتة، وفراغات الأرابيسك عن يمينه ويساره، وقال الراهـب إن الهيـكل بُني عام 360م بعد وصول القديـس أبو مقار للدير، وينقسم الهيكل لأربعة جوانب وفي كل جانب منها صورة للشاروبيم أي الملائكة ثم يتوقف الراهب قائلا: "كان أبو مقار جمّالًا يأخذ الملح من وادي

النطـرون ويبيعه في بلدة أخرى، وحين كان ينقل الملح اسـتراح جوار تبة واضعًا يده على قلبه فرأى ملائكة تبشره أن الله وزن قلبه وعلى قدر الوزن سيعيش في تلك المنطقة"، وتبة الشاروبيم موجودة هنا في الدير ونستطيع منهـا أن نـرى الأديرة التي عاش فيهـا الأنبا مقار هنـا المنطقة فيظهر من أسفلها دير الأنبا بيشوي".

ويؤكد الراهب الشـيخ، أن الفُرس حين دخلـوا مصر هدموا كنائس كثيرة فيها وحين دخل العرب وسـمحوا ببناء الكنائس تمكن الرهبان من بناء أكبر كنيسة هنا في الدير وقد كان ذلك في الفترة ما بين عامي 650 و680 ميلادية في بداية دخول الإسلام مصر، وقد كانت أكبر كنيسة في مصر فقد تخرج منها 35 بابا للإسكندرية"، ويضيف: "أما في القرن العاشر فقد حدث زلـزال قوي هز مصر كلها حتى انتقل جبـل المقطم من موضعه وتأثرت الكنيسـة هنا وسقط ما يقرب من ثلثيها وبنى الرهبان كنيسة صغيرة جدًا فوق الجزء الذي بقى من آثار الزلزال".

ويترك الراهب هيكل الكنيسة، ويسير إلى ركن منزوٍ منها ثم يرفع عن غطاء يظهر تحته قبو يضاء بالكهرباء به آثار لحفريات أسفله يقول إن هذا القبو مقبرة للنبيين يوحنا المعمدان وإليشع النبى، والتي تم الكشف عنها عام 1976 بشكل غير رسمي، عندما بدأت عمليات ترميم وتوسيع الدير بإشراف القمص متى المسـكين، وتم الإعلان رسميًا عن هذا الكشف في نوفمبر 1978.

ونترك كنيسة المقارات الثلاثة ونمشى في طرقات الدير، حتى نصل لكنيسة الـ49 شهيدًا، شهداء برية شيهيت، شيوخ الرهبان الذين وضعوا حياتهم فداءًا للإيمان، فظلت أجسادهم شهودًا، فقد كان ذلك في زمن غارات البربر على الأديرة، هجوم للسلب والنهب، اعتاده الرهبان حتى إن كافة الأديرة بنت لنفسها حصونا تقيها شر الغزوات، أما شيوخ شيهيت وحين واجهوا الغارة الثالثة على الدير عام 444 م، هرب بعض منهم إلى الحصن ورفعوا السقالة بينما رفض 49 منهم ذلك مفضلين المواجهة فنالوا جميعا الشهادة، يدفنون في الدير تتناقل الأجيال سيرتهم، وتتلى فوقهم الصلوات.

نغادر القديسين ونتلو على أرواحهم سلامًا، ونسير حتى نصل كنيسة القديس أباسخيرون أي الأب القوي، وهو قديس قبطي من زمن الاضطهاد يقول الراهب الشيخ وهو يشير لباب بهي على يسار الكنيسة، يسمى الباب الجليل، فوقه زخرفة دقيقة من الطوب الأبيض مكتوب عليه "كان الفراغ منه سنة 170 للشهداء أي في القرن الرابع عشر"، وأعلى الكنيسة قبة سماوية مربعة الشكل، كتحفة معمارية أخرى تضيء سماء هذا الدير يعتقد أنها من آثار القرن السابع الميلادى.

نترك الكنيسة ونسير فنرى الحصن الأثري قد أطل من اليسار، يروي سيرة الاختباء من هجمات البربر ولا يسقط بالتقادم وفي الناحية الأخرى تظهر منطقة القلالى الأثرية أي مساكن الرهبان القديمة، ثم نكمل السير

حتى يقرر الراهب الشيخ أن يأخذنا إلى المكتبة أشهر معالم دير أبومقار "موطن الصلاة الدائمة والحكمة العالية" كما يعرف في التاريخ القبطى، حتى أن الدير الكبير يتمتع بأكبر مكتبة مخطوطات تحفظ دوره كجامعة بحثية قبطية يقبل عليها الباحثون في علوم الكتاب المقدس والمخطوطات والتراث القبطى والآثار، يفتح الراهب الشيخ المكتبة الأولى فتبدو أرفف الكتب على الجانبين وفي المنتصف طاولات للقراءة والدرس، ثم يسير في ممر طولى حتى يفتح بابًا جديدًا تظهر فيه كنيسة داخل المكتبة لتقترن الصلاة بالعلم خلف أسوار أبومقار العالية، وإلى جوار الكنيسة باب آخر ينفتح على مكتبة أخرى للمخطوطات الأثرية بالمكتبة كتب مقدسة عتيقة يرجع تاريخها للقرن التاسع وكتب الخولاجى المقدس، وسير القديسين وغيرها من علوم اللاهوت، وفي غرفة ثالثة تظهر أجهزة المكيروفيلم إذ يحاول رهبان الدير نسخ كل تلك المخطوطات على الكمبيوتر حتى لا تضيع.

نغادر المكتبة الهائلة، ونمشي حتى نرى مبنى صغيرًا كان الأنبا إبيفانيوس شهيد الدير الجديد، يجتمع فيها بالآباء الرهبان يتدارسون ويتناقشون في قضية علمية أو بحثية يحددونها مسبقا كحلقة درس يحضرها ما يقرب من 40 راهبًا، كما يقول الراهب الشيخ، ثم يشير من بعيد لممر تحيطه نخلتان ويتوسطه برميل أزرق، ويؤكد أن هذا الممر قد شهد الجريمة البشعة التي نالت من الراهب الشهيد الأنبا إبيفانيوس رجل العلم والصلاة.

نركب سيارتنا مرة أخرى، لنودع الأنبا إبيفانيوس في "الطافوس" أي

مقابر رهبان الدير، وعلى باب المقابر لوحة رخامية كُتب عليها "تم تجديد الطافوس ونقل رفات الآباء في عصر البابا تواضروس الثانى وتحت إشراف الأنبا إبيفانيوس رئيس الدير عام 2015"، جدد الأنبا إبيفانيوس المقابر وكأنه يطمئن على مكان نومته الأبدية، وعند لوحة تحمل اسمه وتسجل تاريخ استشهاده نرى وردًا قد تركها الزوار لتؤنس الشهيد في نومته.

من قبر الأنبا إبيفانيوس، إلى ضريح الأب الأستاذ، القمص متى المسكين، يرقد في مكان آخر، في منطقة جبلية وفوق تبة عالية لا نصلها إلا بالسيارة، على مدخلها نرى شاهدًا لقبره حتى نصل لأعلى وقد أحيطت المنطقة بحجارة من كل اتجاه تنبت منها صلبان حجرية يحمل كل صليب منهم اسم أب راهب من حوارى القمص المسكين وتلاميذه، بينما صليبه ينتصب في المنتصف منها تعلوه الزهور من كل اتجاه، وعلى شاهد قبره كتب اسمه بالعربية والإنجليزية واليونانية والقبطية، وكل اللغات التي حرص على تعليمها وتعلمها فأخذها معه إلى القبر.

نترك قبر القمص المسكين، بعد أن أتم الراهب الشيخ مهمته ورأينا بعينيه ما لم نره عن دير العلم والصلاة، ويأخذنا إلى مكتبه الصغير قبل أن ينصرف إلى عمله، بينما يسير عمال الدير ويختفى رهبانه، كلٌ يعمل في صمت وهدوء ويقول الراهب الشيخ وهو يودعنا: "إذا كان القديس مقار قد بنى لنا ديرنا هذا فالدير بنى قرية بنى سلامة وعمرها، وهي القرية المجاورة لنا فقد وهب لها القمص متى المسكين مدرسة تبرع بها الدير وأسسها بعدما

كانت الدراسة في فصول صغيرة، افتتحناها عام 1985 ومازالت تخدم القرية حتى اليوم، زودناها بالكمبيوتر وبكافة المستلزمات وتخرج أجيالًا وأجيالًا وتم تأسيسها بناءًا على طلب عمدة القرية من "أبونا متى"، يتمتم الراهب ويقول: "سمعة الدير ستظل في القلوب قبل الآذان، دير القديس الأنبا مقار فخر الرهبنة، لا يهتز وسيظل صامدًا بصلوات شهدائه وآبائه القديسين".

الأقباط.. كارت سياسي

تبدو المقارنـة المنعقدة دائمًا بين البابا تواضروس الثاني والبابا شـنودة الثالث كمشـنقة تم تعليقها مسـبقًا لكل من يرث عرش الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، إلا أن هذه المقارنة تظل غير منصفة على الدوام إذ يتم تفريغها من الظروف السياسـية والاجتماعية التـي صاحبت كل عصر، وكأن بابا الكنيسة كان يأتي ليخدم شعبًا منفصلًا عن الوضع المصري العام بظروفه المختلفة والمتباينة.

طوال 40 عامًا قضاها البابا الراحل على سدة الكرسي المرقسي، حدثت عمليات برمجة واسعة النطاق للعقل الجمعي القبطي، الذي يرى في البابا معارضًا للسـلطة، مناهضًا لهـا ومطالبًا وحيدًا بكل الحقـوق التي ينبغي للمواطن أن يطلبها لنفسه باعتباره مصري الجنسية، وكذلك فإن الكنيسة صدرت نفسـها بديلًا عن الدولة والمؤسسات والمجال العام مما تسبب في عزلة الأقباط داخل كنائسهم غير عابئين بما يجري خارج أسوارها إلا بعض

العلمانيين الذين حاولوا مواجهة الأمـر فكانت النتيجة صدام مباشر مع سلطة البابا شنودة وكنيسته.

بدأت هذه الرحلة بوصول السادات لسدة الحكم، إذ كان عصر الرئيس جمال عبد الناصر أبعد ما يكون عن الصدام بين المؤسستين وشكلت العلاقة بينه وبين البابا كيرلس السادس نموذجًا لما يجب أن تسير عليه الأمور، البابا متفرغ للصلاة والرئيس منغمس في شئونه إلا أن السنوات التي تلت ذلك وما صاحبها من انفتاح اقتصادي وتنامي للمد الإسلامي قد غيرت تلك العلاقة وقلبتها تمامًا.

رسم السادات لنفسه صورة "الرئيس المؤمن"، مع إعطاء شرعية للجماعات الإسـلامية ثم ردد مقولته التي لا ينسـاها التاريخ عقب أحداث الزاوية الحمراء التي وقعت في السابع عشر من يونيو عام 1981، "غسيل في بلكونة مواطـن نزلت منه ميه على غسـيل في بلكونة مواطن الـلي تحتيه والظاهر أنها ميه مش ولابد يعنى"، لتشـكل اسـتهانة بدمـاء الأقباط التي أريقت في هذا الحادث المروع، قررت الدولة أن تتجاهله وتؤسس لتلك العلاقة المرتبكة بينها وبين الكنيسـة، بينما كان لبابا الكنيسة "البابا شنودة الثالث" ردة فعل عنيفة إذ منع الاحتفال بالأعياد ورفض استقبال المسئولين، سبق ذلك مظاهرات أقباط المهجر أثناء زيارة السادات للولايات المتحدة عام 1975، ثـم رفض البابا لاتفاقية كامب ديفيد عام 1977 واسـتصدار قرار من المجمع المقدس يمنع زيارة الأقباط للقدس، فما كان من السادات إلا

أن حدد إقامته في دير الأنبا بيشــوي ضمن اعتقالات سبتمبر عام 1981، وعيّن لجنة لإدارة الكنيسة.

اســتمر البابا في ديره ثم قُتل الســادات على يد الجماعات الإرهابية في أكتوبر 19811، وجاء الرئيس حســني مبارك للحكم محاولًا تجنب أخطاء الماضي فأفــرج عن البابا عام 1985 وعاد البطريــرك محمولًا على الأعناق إلى الكاتدرائية.

من تلك اللحظة ستبدأ الكنيسة مرحلة الشد والجذب مع الدولة المصرية، سيدخل الأقباط أسوار كنيستهم متحصنين بها من عنف الجماعات الإسلامية والصدام بين كنيســتهم ودولتهم، وتبدأ مرحلة العزلة العامة فالكنيســة ستحل محل الدولة في كل شيء، ففيها نوادي التربية الكنسية، وفيها المسرح وبها السينما، ويمكن الاستعاضة بها عن المجتمع بأسره، وسيتغير كل شيء حتى أن أســماء المواليد المسيحيين الجدد ستتغير لتعبر عن الهوية المسيحية مقابل مد إسلامي يجتاح المجتمع بأسره.

قررت دولة مبارك اللعب بالأقباط ككارت سياسي، فلا تغيير في وضعية بناء الكنائس، الكنائس ستُبنى بقرار من رئيس الجمهورية، وستضع الدولة الكثير من التعقيدات أمام تلك المسألة وكذلك أمام التمثيل النيابي والمشاركة السياسية وسيصبح الوجود القبطي في المجال العام من قبيل الديكور، أو الهبات الرئاسية، وفي المقابل فإن الكنيسة ستعود لاستخدام سلطتها وكاريزما البابا الهائلة من أجل الضغط على الدولة، الدولة التي كانت تنقلب رأسًا على عقــب إذا غضب البابا وقرر أن يعتكف في ديره دون أن يقول كلمة

واحـدة، فقد تغيرت اللعبة تمامًا بما في ذلـك آليات الغضب والاحتجاج نفسها، ونتيجة للتهميش وغياب القانون وسلطته، تكثر الحوادث الطائفية بعد تغريب المجتمع وتبدل أحواله واختطافه فكريًا، وزيادة معدلات الجهل والأمية وغيرها من العوامل التي ورثتها مصر اليوم.

ثم يتغير كل ذلك، بابا الكنيسـة يغادر إلى السماء في زمن تبدل الدولة المصرية وانتقالها من عصر إلى عصر، حتى يستقر بالكنيسة الحال بعد فترة انتقالية ويأتي البابا تواضروس أما الدولة فتستقر هي الأخرى بعد موجة أخرى من الغضب الشعبى تأتي بالرئيس عبد الفتاح السيسى للحكم.

إزاء برمجة العقل القبطي طوال السنوات الفائتة على ضرورة الغضب ضد الدولة، تصبح مهمة البابا تواضروس أشـبه بالمهمة الدفاعية، فالبابا مطالب طوال الوقت بالثورة والغضب حتى إن كانت علاقته بالدولة لا تستدعي ذلك.

في العام 2016 ، يصدر أول قانون لبناء الكنائس في مصر بعد سنوات من اللعب بتلك المسألة وإرجاعها لقانون عثماني يسمى قانون الخط الهمايوني، مجرد مرسـوم من مخلفات الماضي لا يناسب المجتمعات الحديثة، وتحاول دولة يونيو الناشئة معالجة ما ورثته عن دولة مبارك في هذا الملف، فإذا كانت الإحصاءات الرسمية تشير إلى وجود ألفي كنيسة في مصر فإن أضعاف هذا العدد قد بُني بالتفاهم الشفاهي بين الكنيسة والسلطات المحلية.

يقول الأنبا بيمن أسقف قوص ونقادة ورئيس لجنة الأزمات في المجمع

المقدس، إن الأقباط لم يبنوا كنائسهم بلي ذراع الدولة بل بالتفاهم مع الأمن حتى إن قانون بناء الكنائس الجديد قد راعى تقنين الكنائس غير المرخصة.

كانت الكنائس غير المرخصة مجرد محاولة من دولة مبارك لإحكام السيطرة على الكنيسة، فإن حدث ما يعكر صفو العلاقة بينهما أغلقت تلك الكنائس مباشرة وسيتم الرد على من يحتج بضرورة تقنين وضعها وهو الأمر الذي كان يستلزم قرارا جمهوريًا.

في سبتمبر 2017 تقدمت الكاتدرائية بكشوف تضم أوراق ما يزيد عن 2500 كنيسة ومبنى خدمات تطلب تقنينه من الدولة، فما كان من الأخيرة إلا أن بدأت في عمليات التقنين تلك عبر لجان هندسية وحكومية تمنح التراخيص على دفعات فاقترب عدد الكنائس المرخصة حديثًا من الألف.

بينما قطاعات كبيرة من الأقباط تحاول جر البابا لفكرة الصراع مع الدولة وهي تقارن حوادث الإرهاب التي اجتاحت الكنائس بشكل متكرر، بالحوادث الطائفية التي وقعت أيام مبارك ولم ينتصر القانون فيها للأقباط.

مقارنات تخلو من أي منطق مصحوبة بشحنات عاطفية ورِثت الغضب سنوات طويلة، متناسين أن حادثًا هو الأكبر في التاريخ قد استهدف مسجد الروضة بشمال سيناء وراح ضحيته ما يزيد على المائتي نفس، غير تلك

الأحداث التي استهدفت رجال الجيش والشرطة وحتى النائب العام.

أما الاحتكاكات التي تقع بين مسلمين وأقباط ويبرز اسم محافظة المنيا فيها كأعلى بؤرة عنف ديني، فلا يمكن أيضًا دفع البابا للغضب عليها إذا كانـت الدولة تتخـذ إجراءاتها القانونية ضد المتسـببين في تلك الحوادث وتحيلهم لمحاكمات عاجلة وناجزة.

ويبقى المشهد الرئيسى في علاقة البابا تواضروس بالقانون ورغبته في عدم استخدام الأقباط ككارت سياسي حين سألته ذات يوم عن الراهب بولـس الرياني الذي قضى عقوبة السـجن عامًا كاملًا بعد اتهامه بالتعدي على موظفى وزارة البيئة في قضية دير وادي الريان، فنظر لي وقال "الراهب كسر قانون المجتمع والدولة ومن ثم صار مستحقًا لحكم المحكمة"، أراد البابا أن يرسـل رسـالة واضحة يرفض فيها مبدأ التحزب والقبلية الذي أدخلت فيه الكنيسة عنوة طوال السنوات الفائتة فصارت متحدثًا رسميًا ووحيدًا باسم الأقباط واسقطت عنهم هوياتهم الوطنية كمواطنين عليهم الدفاع عن حقوقهم و اكتسابها دون تدخل قياداتهم الدينية.

لم يعد الأقباط كارتًا سياسيًا تلعب به الكنيسة في مباراة تكسير العظام مع الدولة إذا كانت الأخيرة تسعى جاهدة لتصحيح أخطاء الماضى رغم ما ورثته مـن إدارات محلية بيروقراطية شـائخة ورغم هذا الجهل وثقافة الكراهية السائدة، وصار المجتمع أكثر قابلية من ذى قبل لتصحيح مساره واللجوء لمفاهيم المواطنة وإحقاق الحقوق أمام تلك الضغوط التي خلقها الوعى الجمعى ومارستها السوشيال ميديا.

مؤامرة عزل البابا عن منصبه

انتقلت الأحاديث الخافتة التي كانت تدور في الغرف المغلقة إلى العلن، وأصبح الحديث عن مؤامـرة عزل البابا تواضروس مُعلنًا على صفحات بمواقـع التواصل الاجتماعى تدار من قبل تيارات كنسـية تتلقى دعمًا من الأسـاقفة، وهي التيارات التي ترى استمرار توجهات البابا تواضروس الإصلاحية خطرًا على مصالحها التي تأسست طوال الـ40 سنة الماضية في عصر البابا شنودة.

بدأت صفحـات على مواقع التواصل الاجتماعـى مثل صفحة "أبناء البابا شـنودة" و"الصخرة الأرثوذكسـية" تروج لفكرة عزل البابا وهي تسـوق اتهامات مختلفة من بينها التفريـط في الإيمان القويم، وهدم عقيدة التسليم والتسلم التي تقوم عليها الكنيسة الأرثوذكسية بل ومحاولة إلقاء تهمة "الماسـونية" على البابا والشباب المقربين منه ومن بين ذلك ما جرى عقب ملتقى شـباب الكنيسـة الأول الذي أشرف عليه البابا تواضروس

شخصيًا وانتهى في سبتمبر حيث تم اتهام بعض أعضاء اللجان المنظمة بعبادة الشيطان والانتماء لجماعات ماسونية وهي كلها تُهم تفتقر للمنطق ناهيك عن توغل نظرية المؤامرة في العقليات التي تطرحها وتروج لها.

الكلام عن عزل البابا تواضروس بدأ بالتزامن مع ما أعلن عنه الراهب المشلوح يعقوب المقاري صاحب أزمة دير الأنبا كاراس بوادي النطرون، الذي أكد أن البابا شنودة رسم (عين) البابا تواضروس أسقفًا كما رسمه قسًا ومن ثم فإن مصدر الكهنوت واحد ويحق له عزله متهما البابا بالتفريط في الإيمان بعد الصلاة مع رئيسة أساقفة الكنيسة اللوثرية في السويد.

تصريحات الراهب المشلوح كشفت عن علاقات قوية جمعته بعدد من الآباء الأساقفة الذين كانوا يديرون مقاليد الكاتدرائية في عصر البابا شنودة ولكنهم فضلوا الابتعاد عن المشهد حاليًا والتواري قليلًا داخل إيبراشياتهم إلا أن تزامن تصريحات الراهب مع الحملات التي تنطلق على مواقع التواصل الاجتماعى وتسوق الأدلة نفسها تؤكد منهجية الحرب الدائرة ضد البابا تواضروس.

البابا تواضروس نفسه عاد خطوات للوراء وقلل من جهوده في التواصل مع الكنائس الأخرى فلم تجمعه صلاة مسكونية مشتركة مع أي من آباء الطوائف المسيحية الأخرى بعد زيارة بابا الفاتيكان لمصر، إلا أنه شارك في يوم الصلاة من أجل الشرق الأوسط في روما في يوليو 2018 وهي صلاة

بروتوكولية لم يؤخذ عليها سعيه نحو التقارب كما كان من قبل، ولعل البابا يعيد دراسة الموقف حاليا بعد أزمة رفض الأساقفة في المجمع المقدس اتفاقية توحيد المعمودية مع الكاثوليك التي وقّعها في أبريل 2017 أثناء زيارة بابا الفاتيكان لمصر ثم عادت الكنيسة وسحبتها وغيرت صياغتها إلى "السعي نحو توحيد المعمودية".

قبل ثلاثة أعوام، خرج القمص رويس مرقس وكيل البطريركية بالإسكندرية الذي تنحى عن منصبه عام 2018، ليتحدث عن مؤامرة ضد البابا تواضروس يقودها أساقفة يحاولون هدم ما يفعله، تصريحات رويس أثارت الجدل خاصة وأن القمص يتمتع بعضوية المجمع المقدس ولا يتحدث من فراغ، ودعا الجميع وقتها إلى الوقوف خلف البابا من أجل قيادة الكنيسة للأمام، إلا أن تلك المؤامرة التي تحدث عنها لم ترقَ لمستوى "العزل" الذي بدأ تداوله حاليا.

عادت المؤامرة على البابا لتعمل مرة أخرى بعد دورة المجمع المقدس مايو 2018 التي أجرت الكنيسة فيها تغييرات بين لجانها وتم تسليم لجنة السكرتارية للأنبا دانيال سكرتير المجمع المقدس الجديد، إلا أن مصادر كنسية أكدت أن اللجان المجمعية لم تعمل حتى اليوم بتشكيلها الجديد.

بينما تستمر العلاقة المتوترة بين البابا تواضروس والأنبا موسى أسقف الشباب والتي تعود إلى أكثر من ثلاثة أعوام حيث قرر البابا رسامة الأنبا

بافلي أسقفًا للشباب في مدينة الإسكندرية بعدما أكد للمقربين منه أن الكنيسة تعانى من خلل في خدمة الشباب وأن رسامة الأنبا بافلي محاولة لتدارك هذا الخلل وهو الأمر الذي أغضب الأنبا موسى وفاقم من أزماته الصحية.

ملتقى شباب الكنيسة العالمي الذي عقد بالكاتدرائية تم بعيدًا عن أعين أسقفية الشباب التي كانت تتولى الإشراف في الوقت نفسه على مؤتمر شباب أوروبا باليونان، وبدأ الانقسام واضحا في المؤسسة الكنسية التي تنظم حدثين لنفس الفئة في نفس الوقت.

إن القانون الكنسي لا يسمح بعزل البابا بالسهولة التي يروج لها منتقدوه، البابا مُعين من قبل رئاسة الجمهورية ومُصدق على قرار تعيينه ومن ثم محاولة عزله تتطلب حل هذه المعضلة القانونية، إلا أن توقيع خمسة أساقفة أو مطارنة على بيان لعزل البابا أو محاكمته كنسيًا سيتسبب في لفت نظر المجمع المقدس ويبطل من انتخابه ويتطلب اجتماع عاجل للنظر في الأمر.

جاءت قضية مقتل الأنبا إبيفانيوس كالقشة التي تقصم ظهر البعير، وبدأت تكشف بوضوح عن الخلافات الكنسية والصراعات الدائرة داخل الكاتدرائية، وسط اتجاه البابا للحسم في ملف الرهبنة القبطية والأديرة رغم وجود مصالح اقتصادية يتم تهديدها جراء تلك القرارات.

كذلك فإن مواقع قبطية وقنوات تُدار من خارج مصر تشكل جزءًا

لا يتجزأ من تلك المؤامرة والحرب الدائرة ضد البابا، فهناك قناة "المسيح" التي تبث من الولايات المتحدة الأمريكية والتي تروج فيها مذيعة تدعى "منال موريس" كانت عضوة سابقة في فريق ترانيم لفكرة أن البابا يحاول توحيد الكنيسة القبطية مع كنيسة روما وأن الباباوين "تواضروس" وفرنسيس" جزء من مؤامرة عالمية، بينما ينشط موقع آخر يسمى "بمسيحيو مصر" قيل إنه مدعوم من أحد الأساقفة، يهاجم قرارت البابا دائما مستخدما طريقة النميمة.

تبدو الحرب التي تخرج رويدًا رويدًا من الاجتماعات المغلقة وتتسلل نحو الساحات العامة ومنها لمواقع التواصل الاجتماعى، معركة ممنهجة تستخدم فيها كافة الآليات والطرق مشروعة كانت أم غير مشروعة، على أن يكون الفائز فيها هو من يتمتع بالحسم والذكاء وسرعة رد الفعل لأن غير ذلك سوف يكلف الكنيسة القبطية كثيرًا وسوف يؤدى لاستنزاف طاقتها الروحية في معارك جانبية.

إعدام الراهبين وضلالات السوشيال ميديا

في الـ23 من فبراير عام 2019 ، نطقت محكمة دمنهور بالحكم في القضية وقررت إحالة أوراق المتهمين إشـعياء وفلتـاؤس المقاري للمفتي تمهيدًا لإعدامهـما وقالت نصًا "قررت المحكمة إحالة أوراق الراهبين "إشـعياء المقاري" واسمه بالميلاد وائل سعد تواضروس بعد تجريده وفلتاؤس المقاري الراهب بدير الأنبا مقار لفضيلة المفتى تمهيدًا لصدور حكم الإعدام فيهما بعد اتهامها بقتل الأنبا إبيفانيوس أسـقف ورئيس دير أبو مقار مع سـبق الإصرار والترصد".

ورغم غرابة مشهد إحالة متهمين من رجال الدين المسيحى قتلا رجل دين مسيحي أيضًا، لمفتي يحكم بالشريعة الإسلامية، إلا أن هذا الأمر قد فـسره قانونيون قالوا إن المادة 381 من قانون الإجراءات الجنائية أوجبت

قبل صدور الحكم بالإعدام على المتهم إحالة أوراق القضية إلى فضيلة مفتي الجمهورية لأخذ رأيه الشرعي، وفقًا لما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية، ومن ثم فإن رأي المفتي وجوبيًا وليس ملزمًا لمحكمة الجنايات ولكن عدم مراعاة قرار الإحالة للمفتي يترتب عليه بطلان الحكم.

هكـذا نطقت المحكمة بما أوتيت مـن أوراق وإجراءات، ومع النطق بالحكم استيقظ قطاع كبير من الشعب القبطي على ما اعتبروه فاجعة، بعد ممارسة تضليل مُتعمَّد ضدهم عبر صفحات بمواقع التواصل الاجتماعى وفضائيات مسيحية تبث من الخارج تمتهن بث الشائعات وتزييف الوعي على طريقة جوبلز وزير الدعاية السياسية في عصر هتلر.

جوزيف جوبلز (وزير الدعاية النازي) ورفيق هتلر حتى الدقائق الأخيرة من حياتهِ، كان إحدى الأساطير في مجال الحرب النفسية، وهو أحد أبرز مَنْ وظفوا واستثمروا وسائل الإعلام في هذه الحرب وهو صاحب شعار شهير يقول: "اكـذب حتى يصدقك الناس" فقد كان صاحب الكذب الممنهج والمبرمج الذي يعتمـد الترويج لمنهج النازية وتطلعاتها، ويهدف لتحطيم الخصوم من الجانب الآخر وقد أكدت ظاهرة جوبلز هذه أن الذي يملك وسائل الإعلام يملك القول الفصل في الحروب الباردة والساخنة.

"جوزيف جوبلز" بناءً على ذلك هو مؤسـس فن الدعاية السياسـية بلونها الرمادي، واسـتطاع حينما كان يروج للفكر النازي بقوة أن يسوق في ركابه عشرات الملايين من الألمان، ورغم العداء الغربي للنازية، إلا أن

جوبلز يعد مؤسس مدرسة إعلامية مستقلة بذاتها.

وتأسيسًا على تلك النظرية عملت صفحات إلكترونية معينة سبق للبابا تواضروس أن حذر عموم الشعب القبطي منها بعد حادث دير أبو مقار، على تزييف الوعي المسيحي في تلك القضية، حيث روجت على مدار شهور التقاضي شائعات تؤكد براءة الرهبان، في البداية استخدمت مشكلة سابقة عـلى أرض دير الأنبا مقار مع العـرب في الأراضي المحيطة بذريعة لتبرئة الرهبان واتهام أخرين رغم أنها انتهت بعد أن توسطت أطراف لحلها، في الواقع يتمتع الدير بمحبة كبيرة وسـط القرى المحيطة به أبرزها قرية بني سـلامة التي أسس القمص متى المسكين مدرسة فيها من تبرعات الدير، ومـن ثم فمحيط الدير خالي من العداوات التي تصل إلى حد القتل، بينما يعـج داخله بمشـكلات تاريخية بين الرهبان من عـام 2006 وحتى مقتل الأنبا إبيفانيوس ورقة التوت التي أسقطت تلك الأزمات.

من الصعب على العقلية المسـيحيـة التي تَربّـت على تقديس الرهبان واحترامهـم وتبجيلهم أن تصدق أن هـؤلاء الطوباويين مَن تركوا العالم بحثًـا عن الله في الصحـاري، بشرًا بل ويرتكبون جريمـة القتل، رغم أن البابـا تواضروس قال لرهبان الدير يوم جنـازة الأنبا إبيفانيوس بالحرف الواحد "اخرجـوا الانحراف من بينكم"، مدللًا بيهوذا الذي كان تلميذًا للمسـيح وباعه لأجل دنانير الفضة فكيف ننفي الشر عن العالم بينما كان المسيح أول ضحاياه وهو المعلم.

وروجت بعض القنوات القبطية التي تبث من الخارج أنباء عن براءة الرهبان وإطلاق سراحهم، استخدمت أقوال المحامين الذين تكفلوا بالدفاع عن المتهمين باعتبارها دلائل للبراءة، ناسين أو متناسين أن وظيفة المحامي هي الدفاع عن موكله أيًا كانت جريمته.

وأغفل هؤلاء عمدًا أو دون قصد، سجلًا من الانحرافات الرهبانية التي رصدتها لجنة شئون الرهبنة بالكنيسة القبطية وأحالت بناءً عليها إشعياء المقاري سابقًا ووائل سعد حاليًا، للمحاكمة الكنسية وصدر ضده أقصى عقوبة وهي الإبعاد عن الدير، وذلك قبل الحادث بشهور، بل أن اعترافات إشعياء نفسه وتسريبات أخرى تخص سلوكياته تؤكد أننا أمام من يسيء لرهبنة الكنيسة التي استقرت ألفي عام وخرجت من صحاري مصر للعالم كرسالة باقية لا تهتز، لا أحد يعرف القاتل يقينًا ولكنها مقدمات تقود لنتائج.

في أجواء من الصراعات وتصفية الحسابات أرادت تلك القنوات والصفحات المحسوبة على التيار التقليدي الانتقام من البابا تواضروس الذي رأى إبلاغ السلطات عن تلك الجريمة البشعة، بينما كانت تيارات أخرى ترغب في معالجتها على طريقة "الترضيات والجلسات" خاصة بعدما روجوا في البداية أن الحادث نتيجة لسقوط الأنبا إبيفانيوس على السلم وارتطامه بالحديد.

لم يرض البابا تواضروس بتلك التسويات، إذ يجب أن ينتصر للقانون

دائـــًما ثم جاء قرار تجريد إشـعياء المقاري من رهبانيتـه، وما تبع ذلك من سلسلة إجراءات لضبط الرهبنة كضربة قاسية فوق رؤوس هؤلاء الراغبين في العبث بالكنيسة وخلق حالة بلبلة ومن ثم استغلوا تلك الأزمة لممارسة تضليل متعمد بغية اتهام البابا واستمرار الحرب المعلنة ضده.

لم يخطـئ البابا تواضروس حين أراد الانتصار للقانون أيًا كان الفاعل حتى وإن هزت تلك القضية معتقدات شعبية راسخة كعصمة الإكليروس عن الخطأ وهو أمر أثبتت التجربة خطأه لأنهم بشر أولًا وأخيرًا.

ومن بين ما لجأت تلك الصفحات إليه هو استخدام أقوال أسر المتهمين في تبرئتهم بينما لا يمكن لأي أسرة أنجبت متهمًا في قضية أن تخرج للرأي العـام وتتهمه وتُعقّد موقفه، اعتادت الأسر أن تنفي التهم عن أبنائها، أن تصـدق أن ذوي الدم أبرياء وأطهار، ومن ثم فإن بث تسـجيلات لأسر المتهمـين وترويجهـا باعتبارها دليل براءة، ما هـو إلا طريقة جديدة لنفي الشائعة أو تبييض وجه المتهم والاصطفاف خلفه.

ثم تعـود نفس الصفحات والقنـوات الفضائية التي تبث من الخارج لتعيد تدوير تلك التسجيلات باعتبارها أدلة تعمل من خلالها على غسل عقول الشـعب القبطي وتأجيج غضبه ضد البابا حتى وصل الأمر لجمع توقيعات تطلب إبعاده عن كرسيه رغم أن هذه العملية قد تمت وفق إجراءات كنسية وقانونية مستقرة منذ مئات السنين مثلما سبق وأشرنا.

دفتر الدم والرماد

عاشت الكنيسة المصرية أحداثًا مريرة بين حوادث إرهابية متعددة، في تلك الأحداث الدامية التي اهتزت لها الكنيسة، وخلف عدسات الكاميرا، هناك جنود مجهولون تحولت أيامهم من الكتابة والرصد إلى التعزية والربت على الأكتاف، محررو الملف القبطي الذين شاركوا الضحايا وأسرهم صرخات الحادث الأولى، ثم تقدموا الصفوف ليسجلوا بالدمع ساعات الوداع القاسية، كواحدة من ضمن هؤلاء، أكتب مذكراتي، بعدما لطخ الدم ملابسي، وتمرن قلبي على رؤية الموت ومصافحته والسلام عليه، والتعامل معه كأحد أفراد أسرتي، وكأن تشييع الشهداء من ضمن مهامي اليومية.

حادث سقوط الطائرة المصرية القادمة من باريس

في الـ20 مـن مايو 2016، تابعت كغيري من المصريين فاجعة سـقوط الطائـرة المصرية القادمة من باريس في البحر المتوسـط ووفاة جميع ركابها الـ59 وطاقمها بالكامل، لم أكن أعلـم أن لي نصيبًا فيها، ولكنني قضيت الليلة كلها، أفكر في مصائر الضحايا، هل ابتلعهم البحر؟، هل تغذت على أجسادهم أسماك القرش؟، هل سجل الصندوق الأسود أصوات صراخهم واستغاثتهم أم أن الله كان رحيمًا بهم ولم يشعروا بهول الارتطام؟، أطفأت أسـئلتي وأغمضت عيني قبل أن تبلغني إدارة تحرير الصحيفة، غدًا عزاء يارا هاني مضيفة الطائرة المنكوبة بكنيسـة العذراء والقديس أثناسـيوس بمدينة نصر، وهي الكنيسـة التي سـأودع فيها الكثير من الشهداء وكأن حادث الطائرة مجرد موعد أولي مع الموت، يحاول أن يعرفني بنفسه، لأننا سنلتقي كثيرًا في المستقبل.

ارتديت ملابس الحداد، وقرأت الفاتحة ليارا، ودخلت الكنيسة، التي كانت تنقسم ما بين الأسود والأبيض، إذ يحرص الأقباط على ارتداء الأبيض في جنازات الشهداء فرحًا بمصيرهم في فردوس النعيم.

استجبت لتعليمات كشافة الكنيسة، التي طلبت منا مراعاة ظروف أسرة يارا النفسية، أن نتحلى بالصبر والأخلاق، وألا نصير وحوشًا تبحث عن سبق صحفي من أم ثكلى أو أب مكلوم، طمأنت الكشافة على بشريتنا، إنسانيتنا بخير، لن نقفز فوق جراح الأم ونسألها عن مشاعرها في تلك اللحظة؟، ولن نمشي فوق آلامها بعدسات الكاميرا ولن ننغز أسنان أقلامنا في صدرها المطعون بالموت.

تركته ودخلت، رأيت صورة يارا للمرة الأولى، محفوفة بالورد، يعلوها الصليب، أصوات البكاء تعلو في الكنيسة، وتجاور صوت كبير المرتلين، الذي بدأ في ترتيل لحن الجنازات الصعب، سمعت اللحن للمرة الأولى، ولم أكن أعرف أنه سيصير كموسيقى تصويرية لعام كامل من حياتي، أتذكره كلما نمت أو استيقظت أو مررت بكنيسة، صار هذا اللحن جزءا من ذاكرتي السمعية، حتى إنني أستطيع ترديده باللغة القبطية التي لا أفهم منها شيئًا، ولكنني أشعر بتلك الآهات التي تصرخ فيها، ألحان حزينة تجسد حزن الكنيسة الأبدي على صلب المسيح، وآهاته لأجل تلك الرسالة، وهذا الإيمان العميق بالفردوس الذي تراه في عيون الأقباط وهم يرفعون أيديهم في صلوات القداس.

جلست في نهاية الكنيسة، كانت قد اكتظت بصديقات يارا من المضيفات، ومن زميلاتها في المدرسة، وأصحابها في الكنيسة، بينما كانت الأم والجدة في المقدمة، الأب كان على يساري يحاول أن يتماسك حتى لا تسقط زوجته ضحية للانهيار العصبي، الأسرة كلها تعزف نحيبًا طويلًا وقاسيًا، لم أستطع أن أتحمل كل هذا الحزن حولي، سقطت في البكاء مثلهم، فواستني صديقات يارا، وسألونني إن كنت أعمل معها في مصر للطيران، فأجبت بنعم، وأنا أتخيل حركاتها حولي تسألني عما أريد أن أشربه في رحلتي على متن الطائرة، أو تطلب مني ربط حزام الأمان الذي لم يحمِها من جنون البحر، أو تبتسم لي ونحن في أعمار متقاربة.

شعرت أن "يارا" صديقتي، وأن هذا الدمع الذي يسقط مني، بدافع الفقد لا التعاطف مع أسرة مكلومة، في القداس، حاول الكاهن تعزيتها قائلًا أن الفقيدة قد صعدت إلى السماء في أيام الخماسين المقدسة، أيام الفرح بقيامة المسيح.

ثم بدأت الصلاة بأوشية الراقدين، التي تُتلى على الأموات الأرثوذكس، كلمات جديدة على أذني، ستخلد في الذاكرة من هذا اليوم، لأنها ستصير فيما بعد من مفردات عملي اليوم "يا رب نيحها فى ملكوت السماء، افتح لها يا رب باب البر، وافتح لها باب الراحة لترفل مع الملائكة ولتدخلها ملكوت الرب، عزي يا رب أهل بيتها وألهمهم صبرًا، واعط شعبك برًا، وثبتنا على إيمانك الأرثوذكسى حتى النفس الأخير". تمتمت خلف الكاهن

آمين آمين آمين، بينما كنت أقرأ لها الفاتحة في سري، وأدعو لها بمنزلة الشهداء والصديقين التي وعد الله بها عباده دون أن يحدد جنسًا أو سنًا أو دينًا أو لونًا، برحمته التي وسعت كل شيء.

أمام هيكل الكنيسة الذي توضع فيه جثامين المنتقلين إذ يحلو للإنجيل تسميتهم وفقًا للآية "لأنه لا يكون موتٌ لعبيدك، بل هو انتقالٌ"، كان موضع الجثمان خاليًا، جثة يارا سقطت في البحر، ولم يتبق منها سوى تلك الصورة التي تبتسم فيها للمعزين بعيون يملؤها الموت.

في مواجهة الصورة، كانت جدة يارا، تناديها "ردي عليا، عايزة أسلم عليكي، ازاي تمشي وأنا أقعد"، فحاول الأقارب تهدئتها، حتى، وقفت الأم في مشهد لا ينساها الزمن، وسيكون عصيًا على العين أن تستوعب أوجاعًا كتلك، أطلقت أم يارا صرخة عالية جدًا انفتحت لها باب السماء، ثم احتضنت صورة ابنتها بيديها المرتعشتين، وكأنها تمسك آخر ما تبقى لها، ففي موت يارا، لا جثمان يعود، ولا قبر ينفتح.

سلمت على الأم والجدة، قدمت لهن العزاء، وأنا أعرف أن للكلام أثر العدم في فقد كهذا، أمسك الأب بيدي زوجته، وقادها إلى السيارة، وأنا أرقبهم من بعيد وأحاول أن أصل لسيارة الصحيفة وأعود بقلب منكسر.

قررت الأسرة تلقى العزاء في قاعة ملحقة بالكنيسة نفسها، حاولت أن

أهرب من الفجيعة مرة أخرى، ولكن رئيسي المباشر أمرني باستكمال التغطية التي وصفها بالهائلة لتلك الحادثة الباذخة، جلسـت على مقهى قريب من الكنيسة أحاول التخلص من قشعريرة بدني لأكمل ما بدأت.

في المساء، عدت للكنيسـة مرة أخرى، كان الجميع قد تأكد أنني أحد مضيفات مصر للطيران، خاصة حين جلست إحداهن جواري بزي العمل، ثم تدافع زملائها الطيارون والمضيفات لتعزية أسرتها، وهم يرتجفون حزنًا وخوفًا، يرددون في خيالهم "صار الموت أقرب إلينا من حبل الوريد، نركب الهواء كل صباح من منا ينجو ومن منا الشـهيد؟". بينما كانت الأم تحاول أن تستوعب أنها تتلقى عزاء ابنتها، وأنها تجلس في ركن منزو كأم شهيدة لا والدة عروس.

بقلبه الأبيض، وابتسامته المطمئنة دخل الأنبا موسى العزاء ممسكًا بيد الشيخ مظهر شاهين، وألقيا معًا خطبة وعظة، عن الشهداء ومنزلتهم عند الله، واحتضن والدة يارا بأبوته الحانية وهي تشكو له وجع الفراق المر.

في منتصـف العزاء، كانت الفتيات تسـأل عن "مارتينـا" صديقة يارا القريبة لتعزيها، كانت مارتينا تجلس كواحدة من العائلة، تحاول أن تصدق أن عزرائيل دق بابها، اختطف صديقـة طفولتها، وقطع تلك الأحاديث الطويلة بينهما، جلسات النميمة، الدموع والضحك، الأمنيات التي تتقاسمها فتيـات في مَطلع العمر، أحلام الزواج، خذلان الحب، وحتى الهدايا التي سـتتوقف برحيل يارا إلى السماء مقرها الأبدي منذ اختارت أن تلعب مع

الريح تلك اللعبة وتصبح السحاب من بين بيوتها الأليفة التي تزورها كل يوم في رحلاتها من القاهرة إلى خارجها.

انتهى عزاء يارا، وكان على أن أتعامل مع أولى دروس الاكتئاب ولكنني تجاهلته وواصلت العمل بحيلة الإنكار وبتقنية العناد التي أقنع بها نفسي كلما اهتز قلبي، وكأنني أقوى من الفقد.

بعدها بيومين، ستقرر الكنيسة تلقى العزاء في كافة ضحاياها من الأقباط إذ راح ضحية هذا الحادث تسعة منهم، شيعت الكنيسة أرواحهم معًا من قلب الكنيسة البطرسية قبل شهور من انفجارها، وتحولها في لحظة إلى قبر كبير لـ30 شهيدة، كانت تلك الجنازة أولى محطات التعارف بيني وبين الكنيسة البطرسية الملاصقة للكاتدرائية، على أن تصير بعدها أمًا لكل الشهداء، ومقرًا أساسيًا للنحيب والوداعات.

في جنازة الضحايا بالكنيسة البطرسية، أبعدت أسرة أحد شهداء الحادث المصورين عن أحزانها، وضربت أحدهم حتى كادت الكاميرا أن تسقط من يده، ورفضت أن تدلي بحديث لأحد الفضائيات، بينما كنت أرقب كل ذلك في صمت من بعيد، أبلغت زميلي المصور أن يراعي مشاعر الأسرة التي تودع ربها وكبيرها، وأن يكتفي بتصوير قيادات الكنيسة يتلون أناجيل القداس، فوافق هادئًا.

علمتني الحادثة، درسًا عن تغطية الموت وفجيعته، الجنازات ليست موعدًا

مناسبًا لطرح الأسئلة، ولا الفوز بسبق من فم أسر الضحايا، الجنازات تصلح لتسجيل المشاهدات، والاكتفاء بالاستماع لهذا النحيب الذي يملأ الدنيا سوادًا، أو استنشاق أثر الفقد في أنفاس المودعين، ففي تلك الساعات القاسية يمكنك أن تكتب عشرات القصص دون أن تتحول إلى وحش يتغذى على دموع المودعين، ويتضخم كلما فاز بكلمات أكثر من أفواه تعبة ومنهكة، لا تدري ما تقول وهي تحاول تصديق فجيعة الموت، يمكنك أن تظل إنسانًا وأنت تنعم بمهنيتك دون تفقد أيًا منهما وأنت تمارس دورك الرئيسي في رصد فجيعة ما جرى وكأنك تحذر منه وتخلق تعاطفًا عامًا معه ولكنك في اللحظة ذاتها تتحلى بأدب المعزين ورغبتهم في تهدئة الأهل لا تذكيرهم بمرارة ما يحاولون تصديقه.

في حادث الطائرة المنكوبة، تعرفت على كنيستين في جنازتين، البطرسية في الجنازة الجماعية والعذراء والأنبا اثناسيوس بمدينة نصر في جنازة يارا، ثم يقرر القدر أن يفجر الإرهابي الكنيسة البطرسية، ويرأس البابا صلاة الجنازة على الشهداء بكنيسة العذراء والأنبا أثناسيوس، وكأنه لعب بالذاكرة فكل مشاهد الموت التي رأيتها في حادث البطرسية مجرد "ديجافو" لجنازات ضحايا الطائرة المنكوبة، مع اختلاف الأعداد، كان عزرائيل قد قرر تدريبي على الموت، فبعثني لأماكن بعينها، خطط لقطف ورودها، وأشار لي لأتعلم التماسك وأنا أحرر أخبار الموت، ولم أفهم إشارته إلا على مقعد الطبيب النفسي الذي حاول علاجي من آثار الصدمة العصبية التي تملكتني بعد حادث الكنيسة البطرسية.

كنت دائمًا الحلقة الأضعف بين زملائي، المتمرسين على الموت، لم يسبق لي أن ودعت قريبًا أو حبيبًا، لم أعقد مع الموت تلك الاتفاقات المتواطئة ولم أختبر من قبل علاقتي بالفقد، ولكنه قرر أن يعلو ويهبط حولي كشبح كبير بجناحين هائلين، يـرف بالأيسر فاختبئ منه في اليمين، يضربني بالأيمن فأسـير إلى اليسار، وهكذا، حتى وجدت نفسي تمامًا في مواجهته، ولم أعد أسـتطيع الهروب أكثر، سـيكون العامان 2016، و2017 عامي الوداعات الكبـيرة، ولن يكف المـوت فيهما عن حصاري في العمل بل سـتمتد يده الهائلة لتقطف زهرة من بستان عائلتي كقرصة أذن قاسية، وتأكيد على أن الفقد أصل، والموت لا يوجع الموتى بل الأحياء، وكل تلك الأشعار التي حفظناها عنه دون أن نختبره فعليًا.

البطرسية

في فبراير 2016، تتأهب الكنيسة لعام موتها، تفتح بطنها لتستقبل جثمان الدبلوماسي الكبير "بطرس بطرس غالي"، الذي بنت عائلته الكنيسة وحرصت على دفن موتاها فيها أسفل هيكل الكنيسة وفي سرداب صغير يؤدي إلى القبر.

في مايو من العام نفسه، وقبل شهور من انفجارها، كانت الكنيسة البطرسية تشم في محيطها روائح الفقد، وقررت أن تستقبل جنازة كبيرة ثانية، ودعت فيها شهداء حادث طائرة مصر للطيران القادمة من فرنسا، ذكر الأنبا دانيال نائب البابا تواضروس بالقاهرة، أسماء الشهداء على مذبح الكنيسة حين كانت أجسادهم تتمزق في البحر.

ثم يأتي شهر كيهك من العام نفسه، يوافق ديسمبر في التقويم الميلادي، يسمى بالشهر المريمي، شهر حبل العذراء والاستعداد لاستقبال المسيح،

تنطلق في السماء مدائح مريم، وترتفع في الكنيسة أيقونات تحمل صورتها وهي تفتح ذراعيها وكأنها تحتضن الأرض، في صباح الأحد الأول من الشهر المبارك، الذي يوافق مولد نبي الإسلام، تكتب الكنيسة البطرسية تاريخًا جديدًا لها بالدم.

كنت قد أخذت موعدًا من أحد مصادري لنلتقي في حديقة الكاتدرائية، تأخرت عن الخروج من المنزل مستغلة العطلة التي تختفي فيها زحامات القاهرة، حدثته في التاسعة لأخبره إنني في الطريق فلم يرد، أكملت طريقي حتى وصلت إلى نهاية كوبري أكتوبر المؤدي إلى غمرة، كان ذلك في التاسعة والربع، فرأيت غيمًا من دخان ورماد، وشرطي المرور يغلق الشارع أمامي، بينما يصيح المارة فجروا الكنيسة، فجروا الكنيسة.

نزلت من التاكسي جريًا باتجاه الكوبري، حتى سقط حذائي فلم أنتبه، عدت ووضعته في جيبي، واستكملت الجري حافية حتى رأيتها، رماد ودخان وسيارات إسعاف تحاول اللحاق، الشمامسة يخرجون بتونية حمراء، يحاولون حمل ما تيسر من مصابات فوقها، ورائحة الدم تختلط بالغبار وكسر الزجاج يملأ الأرض، أمام هذا المشهد الجلل، خشيت أن اقترب من الشهداء، موت مجاني وحزن للجميع، تسمرت في مكاني، لولا القدر لكنت بينهم، لولا لطف الله لكان دمي يطلي الرصيف.

هاتفني رئيسي المباشر وهو يسألني عن مشاهداتي، بينما لساني كان يعجز عن الوصف ويداي ترتعش خوفًا، سارعت إلى مستشفى دار الشفاء

القريبة، كان المصابون والشهداء قد سبقوني إليها، وعلى الباب سألني ممرض "عايزة تتعرفي على حد؟"، لم أفهم السؤال، هززت رأسي الفزع وسرت خلف أمهات مهرولات، وشباب يحاولون التأكد أن أمهاتهم مازلن على قيد الحياة.

في ممر صغير في طرقات المستشفى التي تبدل فيها كل شيء، سرت، كان الصراخ سـيد الموقف، تخرج فتاة ممن اكتشفت استشهاد أمها، تسقط على الأرض "ليـه كدا يا ماما؟، ياربي أنا بحلـم، بينما يحاول أخوها احتضانها والتهدئة من روعها"، يمر رجل بوجه مدمدم نجا من الانفجار للتو وهو يسب ويلعن "الكفرة أولاد الكلب"، والممرضات والأطباء يجيئون ويروحون والكل في حالة اضطراب شديد، عزرائيل كان حولنا يقطف غنائمه بهدوء كصبي تمرن على نزع زهر الحدائق.

سرت في الممر الصغير ولا أعرف أين أذهب، كانت "نهلة" تجري خلفي بهلع شـديد، سيدة خمسـينية تصرخ "يارب يارب يارب بناتي يارب"، في ركن منزو من الممر، رأيت دولابًا أبيض، كانت ثلاجة الموتى قد ازدحمت بالشهيدات، في كل درج جثة، في كل سنتيمتر حكاية تنتهي، ومع كل فتحة درجة شهقات ترتفع ومحبون يسقطون في فخ الفراق المر، كنت جوار نهلة حين رأت فبرونيا في أحد أدراج الثلاجة، ابنتها الأولى، تعرفت عليها من حذائها بعدما لطخ الدم وجهها، وبينما كانت تبحث عن الثانية لم تكن قد اسـتفاقت تماما من صدمة وفاة الأولى، فأطلقت صرخة انشـق لها سقف

الحجرة، وصعدت توًا للسماء، وهي تصرخ "يارب يارب مارينا يارب"، فقدت الأولى وتحاول أن تتأكد أن أدراج الثلاجة لا تضم رفات الثانية، في ثوان معدودة كان العامل قد فتح كل الأدراج، حتى ظهرت مارينا، فسقطت السيدة أرضًا، "الاتنين يارب، الاتنين يارب.. ليه كدا.. انا مش قد التجربة"، ودخلت في متوالية من صراخ وعديد وخبط على الأرض، وخبط على الرأس حتى حاولت إمساكها وتهدئتها وناديت الممرضة التي سارعت بحقنها بالمهدئ فسقطت يساري، وحاولت مساعدتهم لنقلها لأحد الغرف حتى يأتي زوجها الذي صار أبو الشهيدات.

أمام هذا الموت الكثيف، لم أستطع استكمال الوقوف في طرقات المستشفى، خرجت مهرولة وعدت إلى الكنيسة، كان رجال البحث الجنائي قد أغلقوا الطريق، ودخلوا يجمعون أدلتهم عن الحادث الذي سيتم الكشف عن منفذه بعد هذه اللحظات بحوالي 72 ساعة.

كان أساقفة الكنيسة قد بدأوا في التوافد على الكنيسة البطرسية، يصطحبون رجال البحث الجنائي والنيابة لموقع الحادث، حين قررت ألا أستكمل هذا الرعب، فنظرت إلى جواري وقابلت "مايكل" زميلي، كانت طاقتي وقدرتي على احتمال تلك الصدمات قد نفدت، أخذني مايكل إلى سيارته وقرر توصيلي لمكتبي.

دخلت المكتب، وبمجرد ما ابتعدت عن الموت، وسألني زملائي، عما جرى بكيت وصرخت بعنف، فحاول الجميع تعزيتي في ما رأيت، شعرت

أن من ذهبوا يخصونني، وأن الكنيسة نفسها بيتًا من بيوتي، وأن هذا الدم الذي رأيته يلطخ الأرصفة ويعمى الأبصار هو دمي.

استرحت، حاولت الكتابة عما رأيته فعجزت تمامًا، لم يكن عقلي قادرًا على استيعاب ما رأى، ولم تكن أذني لتصدق أن ما سمعته هو صراخ الوداع، وبعـد لحظات من الدفع الذاتي، وربت الزملاء على كتفي لأعمل، عدت مرة أخرى إلى موقع الكنيسة الجريحة حين كانت تجمعات الشباب القبطي الغاضب قد سدت الأفق.

"بالروح بالدم نفديك يا صليب"، بالروح بالدم نفديك يا مسـيح"، أرفـع راسـك فوق أنـت قبطي"، وصلبـان ترتفع في الأفـق، وكأن الدم الذي سـال يخص المسـيحيين وحدهم، وهـي تلك الهتافـات التي أكره سماعها ولكنني لا أستطيع أن ألوم من أطلقوها بعد سنوات قاسية مرت من التهميش والإبعاد، لا علاقة لمشهد البطرسية وتفجيرها الإرهابي بها، ولكن الموت يخلط الأوراق كما تفعل الأحداث الجسام.

كان البابـا تواضروس في اليونان، في زيارتـه الأولى والتاريخية، يُصلي القداس في كنيسة مصرية هناك حين أبلغوه نبأ الانفجار، صلى باكيًا وقطع زيارته وعاد إلى مصر، بعدما تحولت الكاتدرائية إلى خلية عمل من الأساقفة المسئولين عن تسيير أعمالها، إذ جاء الأنبا بيمن أسقف قوص ونقادة ورئيس لجنـة الأزمات بالمجمع المقدس وبـدأ في إدارة الأزمة والاتصال بأجهزة الدولة، حتى خرج بيان البابا يؤكد فيه أن تلك الأحداث لن تزيد الكنيسة

إلا تمسكًا بوحدة مصر ورغبة في محاربة الإرهاب.

أُشفق على البابا تواضروس من تلك اللحظات التي يصبح فيها القابض على وطنه كالقابض على الجمر، يحاول الشباب الغاضب جره إلى اتهام الدولة بالتقصير، بينما يرى أن حادث البطرسية ليس الغرض منه استهداف المسيحيين بل استهداف مصر، وينظم خطابًا متماسكًا في كل مرة يدفن فيها شهيدًا جديدًا ليحق القول على كنيسته "القبطية أم الشهداء".

أمام حالة الغضب الساطع، حاول الإعلاميون الوصول للكنيسة البطرسية وتسجيل لحظات ما بعد الانفجار فيها، فما كان من الشباب القبطي إلا أن تعدى عليهم بالضرب، تكسرت المعدات وضاع في الزحام طاقم القنوات، كانت "لميس الحديدي" أشجع ممن تعرض لذلك، إذ ظهرت مساء اليوم في برنامجها بوجه متورم تلوم من فعل بها ذلك، في حين نجح زوجها عمرو أديب في الوصول إلى الكنيسة مبكرًا قبل زحام الغضب.

كان الشباب الغاضب يحاول أن يفرغ من هزيمته أمام الموت بأي شكل، ودون أن يُفهم من ذلك إنه محاولة للتبرير، ولكننا دائمًا نتعرض لاتهام يتعارض مع طبيعة عملنا، "انتم تتاجرون بموتانا وشهدائنا"، في حين نحن نحاول فقط أن نظهر للرأي العام فجيعة ما حدث، نحاول أن نخلق هذا التعاطف مع الشهداء، نجرم القتلى، نحذر من الإرهاب، من استهداف بيوتنا، ومساجدنا وكنائسنا، لسنا وحوشًا تتغذى على أكباد الراحلين، ولكننا نساعدهم في أن ينالوا بالموت ما لم يتحصلوا عليه بالحياة.

بقينا في الكنيسة حتى المساء، بعدما أغلقت الشرطة الشوارع المؤدية للكاتدرائية وتركت الغاضبين في غضبهم، وسمحت لنا الكاتدرائية بأن نرتاح في مركزها الإعلامي لنكتب، انضممت لزملائي كل منا يحاول أن يواسي الآخر، كل يروي لزميله ما رآه في ساعات الانفجار الأولى، كل يحاول أن يرى من القصة ما رآه القلب وما لم تصدقه العين، بينما كنت أعجزهم عن الكتابة بعدما سقطت في ما يسميه الأطباء "تروما" أو صدمة عصبية انتابتني بعد الحادث وظلت معي أيامًا طويلة.

عدت للبيت، وأنا أشعر أني ميتة فعلًا، وأن كل ما رآيته مجرد حلم طويل أو كابوس يزورني في قبري، كان الموت كغراب أسود قد فرد جناحيه فوق مدينتنا ليكسو الكنيسة كلها، لم أستطع أن أنام أو أني كنت نائمة بالفعل، كان شعوري أشبه بالمخدرين الواقعين تحت تأثير الأدوية، ليسوا في العالم بكامل حواسهم، وليسوا خارجه في الوقت نفسه.

بعدما دخلت إلى غرفتي، أغلق أخي باب فرن البوتاجاز، فصدر عنه صوت عالي، دفعني للجري خارج الغرفة وخارج الشقة وأنا أضع يدي على رأسي خشية الانفجار، كان دوي الانفجارات قد أرعبني بالشكل الذي جعلني أخشاه في بيتي وفوق سريري، كل ذلك يحدث فيّ ولا تتركني الصحافة، سيكون على بعدها بيومين أن أشيع كل الشهداء في جنازة مهيبة، وأعود لأكتب وأحلل دون أن يفكر أحد في أثر ما رأيته على، كانت المطالبة بالثبات الانفعالي والابتعاد عن الحدث نفسيًا وعدم التفاعل معه أكثر من

ذلك أشبه بمن يطالبني بالانسلاخ من جلدي وارتداء جلد آخر لأنه سميك مثلًا أو سيحميني من البرد أو المطر، كانت تلك الأيام قاسية بما يكفي لأ لنتذكرها ولكنّ ألمًا بحجمها عصي على النسيان، كما هو عصي على الكتابة، فاستغرق كل هذه الشهور لإعادة استرجاعه وتدوينه.

قضيت ليلتي مستيقظة أنتظر توديع الشهداء إلى السماء، بعدما استقرت الكاتدرائية على الصلاة عليهم في كنيسة العذراء والقديس اثناسيوس بمدينة نصر، الكنيسة التي دخلتها لأول مرة في جنازة "يارا" مضيفة طائرة مصر للطيران المنكوبة.

في السابعة والنصف صباحًا، أخرجت ملابس الحداد وأعددت نفسي لتلقي العزاء، ذهبت إلى هناك، فكانت الشرطة قد أغلقت كل الطرق المؤدية للكنيسة، لم تسمح إلا للإعلاميين وأقارب الدرجة الأولى بالمرور، عبرت حاجزًا أمنيًا خلف الآخر، حتى تلقفتني كشافة الكنيسة، قالوا أن الأنبا بولا الذي أدار مسألة الجنازة ونسقها أمر بعزل الصحفيين في غرفة جانبية بعيدة عن الكنيسة مقر الصالة، انضممت إلى زملائي وقررنا الاحتجاج، نريد أن نعيش الموت والوداع كأسر الشهداء، نريد أن نسمع أصوات نحيبهم، أن نشم البخور الأخير الذي يغلف أجسادهم العطرة في آخر صلاة لهم بعدما ماتوا من أجل الصلاة، نريد أن نصلي عليهم، أن نشارك في توديع أحبائنا الذين رأيناهم يسقطون على الأرض فسقطت قلوبنا خلفهم.

بعد مفاوضات مرهقة، وافقوا على أن نشهد الحدث الجلل، كانت

الجثامين قد وصلت قادمة من المشرحة ليلة الحادث، ووضعت في نعوش خشبية كل نعش يحمل اسم صاحبته الشهيدة ملفوفًا بصليب من الورود، الأنبا زوسيما يقف وسط الجثامين الكثيرة ويبكي وهو يصلي، يختنق صوته بالدموع، بينما يطلق أسر الشهداء من حين لآخر صرخة، أو زغرودة وكأنها مخدرًا للفقد، يفرحون بمصير ذويهم في فردوس النعيم، لتلك الميتة التي أنهوا بها حياتهم، مصلين خاشعين في شهر العذراء وبداية الصوم.

ثم ظهر الأنبا بولا أسقف طنطا الرجل القوي، يمسك بزجاجة حنوط عطور تصنعها الكنيسة، تطيب بها أجساد قديسيها وأخذ في رش العطر على جثامين الشهداء،

وقبل البدء في صلاة الجنازة، دخل البابا تواضروس الكنيسة ليرأس الصلاة، ممسكًا بعصاه يغالب دمعه، يتحلى بالقوة لأجل شعبه وكنيسته، فانكسار البابا يهز رعاياه، ووقوفه صلبًا يمنحهم القوة.

"أوشية الراقدين" تعود لأذني، الصلاة التي يتلوها الأرثوذكس على الموتى "يارب نيحهم في ملكوت السماء، افتح لهم يارب باب البر، وافتح لهم باب الراحة لترتل مع الملائكة ولتدخلهم ملكوت الرب، عزى يارب أهل بيتهم والهمهم صبرًا، واعطى شعبك برودة في قلبهم وثبتنا على إيمانك الأرثوذكسي"، تمتمت خلف الكاهن آمين آمين آمين، بينما كنت أقرأ لهم الفاتحة في سري، واتخيل العذراء تستقبلهم في السماء وهم الذين قرروا الذهاب لها صائمين، محبين، طائعين في شهر يتسمى باسمها.

صوت الصراخ والنحيب يمتزج بالزغازيد الكنيسة تعلق أسماء ضحاياها أعلى أيقونات القديسين، هنا المسيح يعظ تلاميذه في عشائه الأخير، وهذا مرقس ينشر رسالته في مصر، وتلك العذراء تضع رضيعها، الشهداء يجاورون القديسين في فردوس النعيم يقول البابا تواضروس وهو يعظ ذويهم أم الشهداء نبيلة، أم الشهداء جميلة، يرتل إبراهيم عياد كبير شمامسة الكنيسة وهو يصفها، يقول البابا الاستشهاد قدر كنيستنا المصرية التي قدمت آلاف الأرواح للسماء منذ بدء البشارة حتى اليوم، هب لهم خيرات ما لم تره عين وما لم تسمعه أذن يقول الكاهن وهو يعد الأبرار بالفردوس، يطمئن البابا تواضروس الحاضرين: الشهداء انتقلوا في شهر كيهك حيث الصوم والتسبحة، الشهر الذي نحتفل فيه بالعذراء، استدعاهم الله ليحتفل معهم هناك في السماء.

تزغرد سيدة مكلومة فقدت ابنتيها وهي تصبر نفسها بنعيم الأخرة الذي صار من نصيب العروسين، وتصرخ أخرى لم تنجح وعود السماء في تهدئة وجعها على الأرض.

يدعو البابا وخلفه الشعب "افتح لهم أبواب الراحة ليرتلوا مع الملائكة، عزى يارب قلوب أهاليهم، وأدخلهم في ملكوتك"، تهتز القاعة باللحن الحزين وصوت الأناجيل ووعود السماء.

"صلوا من أجل وحدتنا الوطنية، مصر تفقد شهداء كل يوم والوطن كرمهم أعظم تكريم" يقول البابا وهو يستعد لاستقبال الرئيس في جنازة

شعبية مهيبة، تخرج الجثامين في طوابير متراصة، تلك سامية، وهنا أنصاف وهذه مارينا.

ثم وقف الأنبا بولا، متجاهلًا النحيب كله، وطالب أسر الشهداء بالتزام التعليمات في الجنازة العسكرية، الجثامين ستتحرك في سيارات إسعاف لمقر النصب التذكاري كل أسرة ستركب السيارة مع جثمان شهيدها، صرخت سيدة وقاطعة كلامه فنهرها "متخلوش شكلنا وحش قدام الناس"

كنا في الداخل بينما تجمعات الشباب القبطي، تحاصر أبواب الكنيسة من الخارج تحاول توديع الشهداء وترفض الكشافة الكنسية بكل حسم، لا مكان إلا لأسر الشهداء حاملي الدعوات.

بعد الجنازة، بدأ خروج الجثامين، مع كل جثمان يخرج من باب الكنيسة، صراخ يعلو وزغاريد تهبط، وطبول تدق تودع الشهداء بدق جنائزي يفزع القلوب، خرجت من الباب وفاضيت عيناي بالدمع، كنت أرتدي الأسود وأبكي فاحتضنتني راهبة وهي تطمأني "متقلقيش راحت للعدرا ويسوع، متزعليش عليها"، كنت قد انفجرت وكل مشاهد الفقد تتدافع أمامي، الدم الذي رأيته على الأرصفة والصراخ والنحيب، حتى خرج من الكنيسة جثمانين قطعا أفكاري للأبد، "نهلة" والدة الشهيدتين وقفت في المنتصف بين جثمان ابنتها الأولى والثانية قسمت ذراعيها تحاول احتضانهم معًا حتى سقطت بينهما في المنتصف وهي تتوسل للزمن أن يتوقف، وللقبر ألا ينفتح فيأخذ "شقا عمرها كله" كما كانت تصرخ، أمام هذا المشهد

سقطت وانزويت في ركن من الكنيسة، لم أعد أستطع أن أتابع المزيد من الفجائع، حتى رأيت السيدة التي كانت تبحث عن شقيقتها سامية في المستشفى أيضًا، وهي تودعها بعدما تأكد موتها.

صوت دق الطبول ما زال في أذني حتى اليوم، وهو الدق الذي سيتكرر في كل جنازات الشهداء التي سأتابعها بعدما يسافر إلى السماء من كن في حالة خطيرة.

غادرت الكنيسة، وأنا أرى سيارات الإسعاف تتجه للنصب التذكاري، كان الرئيس عبد الفتاح السيسي قد وقف ليعزي أسر الشهداء، وكنت أنا استقل تاكسيًا صوب المقطم حيث توارى جثث الشهداء الثرى في كنيسة الأنبا شنودة هناك.

في التاكسي الذي ركبته من الكنيسة إلى المدافن، كان السائق ستينيًا بلحية خفيفة، يترحم على الشهداء ويسألني "ناس واقفة تصلي عملوا ايه بس؟، لا إله إلا الله، حتى قطع صوت الرئيس يعلن اسم محمود شفيق منفذ الحادث حديثنا، وتهللنا معًا في دهشة كبيرة من سرعة فك غموض الحادث ومرتكبه بين ليلة وضحاها.

قطعت السيارة طرقًا مزدحمة في القاهرة، حتى بلغت الجبل، وصلت قبل أن تصل جثامين الشهداء القادمة من الجنازة العسكرية، رأيت قباب الكنيسة يعلوها الصليب بينما كان الشمامسة يستعدون لزف المغادرين إلى

مقر راحتهم الأبدية، حضرت الجثامين واستمرت وصلات الدمع والنحيب مع الزغاريد، وخرجت دون أن أشاهد الدفن الذي كان كبيرًا علي.

غادرت إلى البيت، حتى جاء نبأ استشهاد سيدة تدعى إنجيل مرقس، التي ستأخذ أسرتها عزائها في اليوم التالي بقاعة ملحقة بالكنيسة، وهكذا كل يوم من موت إلى موت حتى جاء موعد وداع ماجي مؤمن، طفلة الكشافة الكنسية، ملاك البطرسية الذي رحل متأثرًا بجراحه في المستشفى، كانت صورة ماجي قد انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي، طفلة جميلة في الابتدائي تلعب الكرة الطائرة في نادي وادي دجلة، وهي تلميذة في مدرسة كلية رمسيس القريبة من الكنيسة البطرسية، وبطلة لغالبية عروض الكنيسة المسرحية، طفلة تحب الحياة، ولا يرفق بها الموت، طفلة تبتسم لها السماء وهي تستقبلها دون أن تنظر في مصير أمها.

كان يوم وداع ماجي بالكنيسة البطرسية لا يقل حزنًا عن باقي أيام الوداعات التي قطعتها في هذا الحادث الضخم، انتظرنا مع زميلات ماجي ورفيقاتها الصغيرات وصول جثمانها من المستشفى والانتهاء من إجراءات الدفن التي تأخرت كثيرًا، كانت الكنيسة البطرسية قد ازدحمت بأطفال مدرسة كلية رمسيس يودعون زميلتهم بزي المدرسة التي جاءوا منها مسرعين مع مدرساتهم، وكذلك مدربي ماجي في لعبة الكرة الطائرة، كانت كل الأماكن التي صنعت فيها الطفلة فرحًا قد نبتت لها كورد في قداس جنازتها بالكنيسة، انتظرنا ساعتين حين حضرت ماجي ملفوفة

بالورد والصليب، وعاد للكنيسة دق طبول الموت المرعب يضرب به زملائها في الكشافة بالقلب والدموع.

ثـم ظهرت الدكتورة نرمـين والدة ماجي بصحبـة راهبة جاورتها في التفجير، كانت الدكتورة نرمين تبتسـم للسـماء وترتدي الأبيض، وكأنها تكلـم وجوهًـا وصورًا تراهـا في الأعالي، من الناس مـن قال إنها توصي العذراء على ابنتها إذ تتجسـد لها الآن، ومنهم من قال إنها تستدعي ساعة التفجير ولحظات فقد الكنيسـة، وهناك من قال إنها تتحدث إلى المسـيح وهي تمنحه أغلى ما تملكه أمًا مكلومة، كانت ابتسامة أم ماجي كمثل الطعنة التي وجهتها للموت القاسي، فإن كان هو يحصد الأرواح دون اسـتئذان سنبتسم له بكل محبة وإيمان.

يمر كل هذا، حتى تعلن القوات المسلحة عن الانتهاء من ترميم الكنيسة البطرسية بعدها بأسبوعين، ويصلى فيها قداس رأس السنة الميلادية الجديدة، أدخلها لأول مرة بعـد كل هذا الألم، أحاول أن أكتب عن أثر الدم الذي تجمد على الحوائط والأعمدة التي تشـهد عـلى كل هذا الألم والوداعات، ولكن أصابعي تخونني، وترتعش، تهتز يداي ما يزيد عن ربع ساعة، حتى تحتضنني سيدة وتقول لي "مبروك كنيستنا رجعت لينا"، وتربت على كتفي بعدما أغرق في البكاء مرة أخرى، أقبّلها وأهنأها بعودة كنيسـتها ولكنها عودة الجسد بلا روح، عودة الحجر بلا بشر.

أخرج من باب الكنيسة، وأرى الحائط الذي يختزن دم الشهداء فوقه،

صور الشـهيدات معلقة فوقه كزرع الصبار القوي، يتحدى الموت نفسه، ويظل خالدًا حتى وإن جفت المياه.

تتحدى الكنيسة الموت بالمزيد من التشبث بالحياة، وبعد أيام من افتتاحها تستقبل أول عرس فيها، عريس وعروس يقرران أن يبدآ حياتهما من حيث ضحى الآخرون، شاب وفتاة يعقدون صلاة أكليلهما في الكنيسة الطاهرة أم الشهداء، ثم يحاول الموت أن يرواغ مرة أخرى، تموت "دميانة أمير" في المستشفى، طفلة أخرى تنضم لسحابة الشهداء لتلحق بجدتها التي استشهدت في الحادث نفسه، دميانة تسافر بعد شهور من الغيبوبة وتودعها أمها بالكثير من الصبر بعدما ذاقت الفراق في الحادث نفسه حين ودعت أمها.

يمـر العام، ويأتي "مينا" ليتعمد في الكنيسـة البطرسـية، تنجب والدة ماجي طفلًا ذكرًا، تقرر أن تدخله المسـيحية لأول مرة في محل استشـهاد أختـه، وموضـع نجاة أمه، يأتي مينـا للحياة محملًا بكل هـذا التاريخ من الفقد حاملًا لأمه الكثير من الأمل والإيمان والتعويض الذي يسـكنه الله قلوب عباده المؤمنين.

مارجرجس طنطا

بينما كان المسيح يتهلل داخلًا أورشليم على بغله منتصرًا، كان الانتحاري يضع حزامه الناسف ويدخل الكنيسة متخفيًا، وهو ينوي تحويل ساعة الفرح لذكرى للموت ومقرًا للدم.

ككل آحاد السعف، التي يبدأ بها أسبوع آلام المسيح، استيقظت مبكرًا ونزلت إلى صلاة القداس في الكنيسة المرقسية بكلوت بك أو كما يسمونها "البطرخانة"، دخلت فرأيت الأستار السوداء تعلو هيكل الكنيسة كعلامة استقبال أسبوعها الحزين، ألحان الصلاة تتغير، في أسبوع صلب المسيح، يصلي الأقباط باللحن الحزايني، وتصلى الصلوات الجنائزية حتى أن موتى هذا الأسبوع لا تقام عليهم صلوات الجنازة، ففي الكنيسة تجنيز عام إحياءًا لعذاب المسيح وفدائه لها.

ارتديت فستانًا، وذهبت لأكتب تقريرًا عن أحد الشعانين، انهمكت في الكتابة حتى دق جرس هاتفي، فقلت "دقائق وسأرسل تقريري"،

كانت صحيفتي تبلغني بضرورة الانتقال إلى طنطا فورًا، كنيسة مارجرجس انفجرت وليس لدينا أي حصر لأعداد الشهداء حتى الآن، حاولت الاتصال بمصادري هناك فلم يجب أحد، ثم تحركت مباشرة، أبحث عن طريقة تنقلني للمحافظة القريبة، فالتحقت بسيارة إحدى الفضائيات التي كانت ذاهبة لتغطية الحدث، في طريق الذهاب، قفزت إلى عيني كل مشاهد حادث البطرسية، لم تكن الأربعة شهور الفاصلة بين الحادثين كافية لكي أنسى، أو إن فجيعة ما رأيت غير قابلة للنسيان أصلًا، خشيت أن أرى أمًا أخرى تفقد ابنتيها كنهلة والدة "مارينا" و"فبرونيا"، ارتجفت حين تذكرت الفتاة التي تبحث عن أمها بين المصابات فوجدتها بين القتلى، ولكنني ككل من يعتاد الموت كنت أقل تأثرًا من صدمتي السابقة.

حين وصلنا طنطا، سألنا المارة عن الكنيسة التي تفجرت ففوجئت إنهم لا يعرفون شيئًا، ولم أفهم كيف لمدينة صغيرة لا تعيش نبأ كارثة بهذا الحجم فيعرف فيها القاصي والداني، أن دمًا سال على أرصفتها، بعد عدة محاولات في الطرق وصلنا، كانت الشرطة قد أغلقت الكنيسة ومنعت الصحفيين والإعلاميين من الدخول، أما التجمهر فكان قد بدأ هناك قبل وصولي بقليل، مئات من الشباب في محيط الحادث، عشرات الصحفيين والمراسلين التلفزيونين يجلسون في المقهى المواجه للكنيسة، وشباب الكشافة الكنسية يمنعون الجميع من الدخول.

بحيلة بسيطة، استطعت أن أكون الصحفية الوحيدة التي تدخل الكنيسة بعد انفجارها، بمجرد أن دخلت شممت رائحة زفرة كسمك نيئ، وظننت فعلًا إن حلقة سمك تجاور الكنيسة تسببت في تلك الرائحة الغريبة، لم أكن

أتصور أبدًا أن للدم رائحة نفاذة هكذا، دم شهداء طنطا كان سائلًا كبركة كبيرة في منتصف الكنيسة تمامًا وبالقرب من كرسي البطريرك أو الأسقف وخلف العمود الأول وراء خورس الشمامسة، كان الدم كثيفًا ولم تستطع الساعات الفاصلة بين الحادث وبين وصولي أن تجففه أو توقف رائحته وكأنه يخرج لسانه للحياة ويتحدث باسم الموت ويتحدى وجودنا.

على اليسار، كان رجال البحث الجنائي يرتدون قفازات بلاستيكية يجمعون بها أشياء من الأرض، بعدما وضعوا سياجًا حول المنطقة التي يبحثون فيها، ثم صعدت قرب هيكل الكنيسة بعدما نبهني أحدهم إلى ضرورة خلع حذائي، حين صعدت إلى أعلى وجدت أشياء صغيرة وسوداء على الأرض، ثم ارتديت نظارتي الطبية واقتربت فإذا بها عقلة أصبع ملقاة أمامي، صرخت من الصدمة فانتبه جامع الأدلة وجاء لالتقاطها، كانت عقلة الأصبع ملقاة فوق سجاد الكنيسة الأحمر، محترقة من الأمام سوداء اللون، ومن الخلف يظهر لونها الوردي، لون الجلد البشري الأليف بعدما صار مجرد أشلاء كإشارة لما فعله عزرائيل بتلك الكنيسة.

نظرت لأعلى، وجدت الساعة مثبتة على موعد التفجير العاشرة إلا خمسة دقائق، توقفت الساعات حين صعدت أرواح وارتقت إلى ربها، وأسفل الهيكل شاهدتي عيان ترويان لقناة الكنيسة فجيعة ما جرى، تصفان الانتحاري وترتديان ايشاربات ملطخة بالدم على رؤوسهن، حتى أن إحداهن انتبهت لذلك فامسكت الإيشارب وقبلته وقالت إنه بركة الشهداء ووضعته في حقيبتها.

خرجت من الكنيسة مسرعة بعدما زكمت رائحة الدم أنفي، وقررت أن اتنفس هواءًا لا يحيطه الموت هكذا، فوجدت زملائي الذين وصلوا متأخرين من القاهرة، ونصحتهم ألا يدخلون الكنيسة وألا يحاولون فعل ذلك، رائحة الدم نفاذة وقاتلة ولونه قاتم وقابض للروح،

في منطقة أبو النجا، كان أهالي الشهداء والضحايا قد خرجوا عن صبرهم المعتاد، وبدءوا في الشجار مع وسائل الإعلام التي تحاول توثيق الحدث ونقله، بينما منع شباب الكنيسة دخول الكاميرات، واكتفوا بإدخال إعلام الكنيسة بعد التأكد من الهويات.

بدأ رجال البحث الجنائي في رفع آثار الحادث، يمسك الرجل بيمناه كيسًا أسود، يضع فيه ما يجده على الأرض من أشلاء، تلك قطعة جلد، وهذه شحمة أذن، والثالثة عقلة أصبع، أرضية الكنيسة كانت ملطخة بالدم، فجاور دم شهدائها سجادها الأحمر الموزع على المنتصف، كذلك فإن العمود القريب من موقع الانفجار قد تخضب تماما بدم الشهداء والضحايا وتحول لونه الأبيض إلى الأحمر.

في سقف الكنيسة، كان حواريو المسيح وتلاميذه يتوزعون يبشرون بالإنجيل، بينما كانت نقاط الدم وروائح شواء اللحم البشرى تطالهم، من الأرض التي تخضبت وحتى مكانهم في سماء الكنيسة ثم قررنا جميعًا التضحية بما تبقى من أرواحنا، سنذهب إلى المشرحة.

أهالي الشهداء ينتظرون ذويهم أمام باب المستشفى التي تضم مشرحة تلك المدينة، وتقارير الطب الشرعي تكتب على عجل، والصلبان الخشبية مرفوعة في الخارج تنتظر خروج جثامين الشهداء، كان القمص دانيال قد

تأكد من استشـهاد نجله بيشوي الذي سقط مرتطمًا بالمقعد الخشبي فمات متأثرًا بنزيف المخ.

كان القمـص دانيال ينتظر خروج نجله وهـو يرتدي ملابس الخدمة البيضاء، الملطخة بدم الشهيد، فقد حمله في عباته قبل دقائق من استشهاده، حيث كان يصلي بصحبة أخيه كيرلس ووالدته اللذين نجيا من الحادث.

وفي الناحية الأخرى، كان المهندس مجدي شاكر ينتظر خروج نصفه الميت من المشرحة، الشهيد سليمان شاكر، كان التوأم يصليان معًا في الكنيسة حين وقع الانفجار فقسمهما نصفين أحدهما في السماء والثاني في الأرض.

على اليسار كان الدم قد أخذ موقعه من مقاعد الرجال، كما الأعمدة، يلون كل شيء، وليس كمثله شيء، بينما كان الأنبا بولا أسقف طنطا يعقد اجتماعا لترتيب صلوات الجنازة على الشـهداء التي تبدأ بعدها في كنيسـة القديسة دميانة القريبة من موقع الحادث.

في صلاة البصخة المقدسة مساءًا، يقول الكاهن في الميكروفون "عشنا يوم سيسـجل في تاريخ الوطن وتاريخ الكنيسـة، صار لنا اليوم سـحابة شهود أمام عرش النعمة، علينا أن نفتخر أن طنطا أما للشهداء لقد صعدوا للسماء في أقدس لحظات السماء"، ويختتم اليوم باحتفال روحي بصلوات البصخة المقدسة.

كانت أعدادًا مهولة من الحاضرين تستقبل كلام الكاهن بالتصفيق، بينما كان التصفيق لا يتناسـب مع رائحته الدم التي مازالت في أنفي، غضبت جدًا ممن يصفقون ويصفرون حتى إنني كدت أن اشـتبك مع أحدهم ثم قلت لنفسي أن اختلاف الثقافة يحكم.

أمام مستشفى مغاغا..
موت لا يستحى

وصلت متأخرة لمدينة مغاغة بعد مرور أكثر من أربع ساعات على وقوع حادث دير الأنبا صموئيل الأول الذي وقع في الليلة الأخيرة من شهر شعبان بينما كان المسلمون يستعدون لاستقبال رمضان في الصباح، وقد ذهبت خلف جثامين الشهداء التي وصلت إلى مستشفى مغاغا، كان المشهد يشبه كابوسًا مرعبًا أو شبحًا فرد جناجيه على مدينة فسرق شبابها وأطفالها وربما كان اختبار في الصبر يضاف لسجل اختبارات الموت التي تسلب العقول كما القلوب وتترك سوادًا ودمعًا في العيون، كانت مغاغة على موعد مع وداع مهيب، شهداء جدد ينضمون للقافلة شباب ونساء وأطفال اقتطفهن الإرهاب من طريق الدير، الأنبا صموئيل القديس يشفع لهم في السماء، ويهدأ من روع ذويهم في الأرض.

صراخ وعويل، أصوات مبحوحة وأخرى مقهورة، تبكي دمًا على كل هذا الفقد الذي حل بالمدينة، النساء تتشارك البكاء، كما اللطم، يضربن كفوفهن بالرؤوس علها تنزل عنها أثر فجيعة لا يمحوها زمن، الرؤوس نفسها تهتز بهيستريا كالدراويش في حلقات الذكر، يمين ويسار، يسار ويمين، حناجر تهتف يارب، وألسنة اتعبها دعاء هو الأمل الوحيد، ذلك جزء من المشهد أمام مستشفى مغاغة العام التي استقبلت جثامين الضحايا قبل أن تقرر الدولة نقل الحالات الحرجة إلى مستشفيات القاهرة ومعبد ناصر.

الزحام قسم بوابة المستشفى إلى جزئين، آلاف من البشر يتحلقون بأبوابها الحديدية القديمة، ينتظرون شفاء ذويهم من المصابين، ويودع الباقين جثامين شهدائهم بجلد ودهشة من أثر المفاجأة، طريق في المنتصف تمر منه أجساد الشهداء الطاهرة في صناديق خشبية تحمل صور العذراء أو القديسين، قديسون معاصرون يدخلون الملكوت محمولون على الأعناق اليوم، يشهدون للصليب الذي اخلصوا له فماتوا شهداء على باب ديره يطلبون منه البركة والشفاعة يوم يلتقون الله الديان، الحزن يقسم الرجال والنساء، اليمين للرجال واليسار للنساء، على اليمين رجال وشباب من مختلف الأعمار، أهالي للشهداء وجيران لهم، هذا ابن عم الشهيد جاء يراه للمرة الأخيرة، وذاك زميله في خدمة الكنيسة، جاء ليطلب البركة من شهيد جديد في سجل كنيسة عرفت باسم أم الشهداء، وثالث من جيران الشهيد حضر معه طفولته وصباه ولم يمهله الموت ليحضر عرسه فهرول

إليه ليراه عريسا في السماء ملفوفا بالورد ومحفوفا بالدعاء

على اليســار، تقف النســاء، الحزن هنا ليس كمثله شيء، أمهات ثكلى تضع في الصراخ كامل ذكرياتها، "ياهوي شـجا عمري يا ولدي" تصرخ واحدة وهي تنظر للسماء، سجل كامل من حياة ابنها تمر أمامها، تستيقظ اليوم على حتفه، ستراه لمرة أخيرة موضوعًا في الجثمان فلا تسمع ضحكته ولا تشم إلا رائحة موته، ولا ترى عينيه المفتوحتين مرة ثانية.

يمين ويسار وفوق وتحت، ضرب على الصدور، لطم على الخدود، وآخر على الرؤوس، تراب يحملونه من الأرض يعفرون به وجوههم ورؤوسهم، ويكملن الاهتزاز وطقوس الصراخ، يارب يارب تقول إحداهن فتشاركهن الباقيات الدعاء لله عله يمحى عنهن أثر هذا اليوم الرهيب، تحاول واحدة احتضان قريبتهــا، "حرام حرام احنا مؤمنــين"، تواصل الثكلى صراخها تنفس عن أثر فقدها.

سيارة نقل الموتى تظهر، تمر من باب المستشفى، يتحلق حولها الجميع، يحاولون مس الأجســاد الطاهرة بإيديهم لينالوا بركة الشــهداء، ويشتعل المشــهد بالهتاف، بالروح بالدم نفديك يا صليب، بالروح بالدم نفديك يا صليب، تتذكر سيدة دعاء الكنيسة المفضل "يارب أرحم" تردده بالعربية والقبطية "كيراليسون، كيراليسون" فيشاطرها الجميع الدعاء والنحيب.

جوار أســوار المستشفى الحديدية، ســقط المقدس صالح على الأرض

محتميًا بأهله وعشيرته من القرية، يرتدي جلبابه الصوفي البسيط، ويبكي فقد ولديه، جرجس وكيرلس

"كيرلس يستعد لامتحانات التوجيهية ويقصد الثانوية العامة، نصحه أخوه جرجس أن يذهب إلى الدير ليأخذ بركة الأنبا صموئيل قبل الامتحانات، واتفقا على الذهاب معًا فلم يعودا وصعدت أرواحهما للسماء".

يبكي المقدس صالح الذي يعمل مزارعًا بسيطًا ويقول إن نجله الأول جرجس يبلغ من العمر 26 عامًا ويعمل محاسبًا بشركة بالقاهرة، حيث كان يستعد لزفافه في شهر 7 المقبل، وجاء لمساعدة أخيه الصغير كيرلس في امتحانات الثانوية العامة، يقطع حديثه بالبكاء "يارب كنت سيبتهم لاخواتهم البنات وابوهم وامهم، كنت سيبتلي واحد يرعاني في شيخوختي". ويبكي.

يحاول جاره تهدئته ينظر له ويربت على كتفه ويذكره بالنبي "أيوب"، يقول له "أيوب عمل ايه؟، خدوا منه عياله وأرضه وبيته وتعب ومرض ومقالش غير يارب، يربت على كتفه مرة أخرى ويقول له "قل الحمد لله، إذا أخذوا أجسادنا وقطعوها وعلقوها على الأبواب هنفضل نشكر ربنا ونقوله الحمد لله".

تناوله سيدة زجاجة عصير لتهدأه، يرفض المقدس صالح ويقول "مش

جادر ربنا سقاني مر كتير"، ثم يدخل في نوبة بكاء وينادي "يا يسوع، أنا مش قد التجربة يا يسوع".

أبواب المستشفى تزدحم، أفواج من الشباب القبطي الغاضب تنضم لأسر الشهداء، جماهير عريضة وحشود تملأ الأبواب، الكل في انتظار لحظة خروج الجثامين، جثمان ثالث يظهر، تشتعل الهتافات "بالروح بالدم نفديك يا صليب"، بالروح بالدم نفديك يا مسيح، التراب يهز الأفق، يختلط بالهتاف ولا تتوقف النساء عن النحيب.

مع خروج الجثمانين الرابع والخامس، كانت أعداد الناس قد تزايدت وتزاحمت، الكل يتأهب لحمل الشهداء من المستشفى إلى مطرانية مغاغة حيث الوداع الأخير، صلبان خشبية تظهر، وترتفع في السماء لتودع الجثامين وتزفها إلى هيكل الكنيسة لتصلى عليهم صلاة الجنازة ويرفع لحن جولجوثا الذي يزف به الشهداء والقديسين.

بعدها بما يقرب من الساعة، انتقلت إلى قرية دير الجرنوس التي ينتمي لها العدد الأكبر من الشهداء 16 شهيدا من العمال الذاهبين إلى الدير، وقد كانت الأجواء مشحونة في مدخل القرية التي تسمع منها صوت العويل بوضوح، وحين وصلت إلى كنيسة السيدة العذراء التي كانت تحتضن جثث الشهداء، كان أهالي القرية قد بدأوا خلافهم مع الأنبا أغاثون أسقف مغاغة الذي ترأس الصلاة وقد انتقل الخلاف على أماكن دفن الشهداء إلى العلن حتى نهر الأسقف أحد أهالي الشهداء وقال له "اسكت يا جليل الأدب"،

وكاد الأمر أن يتطور لولا تدخل العقلاء وقد كانت كنيسة دير الجرنوس التي أراد الأسقف أن يدفن بها الشهداء أحد مزارات العائلة المقدسة بينما تمسكت أسرهم بدفنهم في مقابر العائلة، غادرت الكنيسة بعد يوم عمل طويل وأنا أتذكر بكاء الأمهات المكلومات والأطفال الذين شهدوا الحادث المروع، فلم ألحق بموعد السحور الأول في رمضان ولكنني قرأت أنباء الضربة الجوية لمعاقل الإرهاب في درنا الليبية التي ضمت معسكرا لمرتكبي الحادث فاكتفيت بالثأر كبديل للطعام.

المحتويات

كلام لابد من ذكره 7
كنيسة ما بعد البابا شنودة 11
من الصفوف الخلفية إلى سدة الحكم 17
رجال الكنيسة على رقعة شطرنج البابا تواضروس 21
تشكُّل الجماعات المناهضة للبابا 27
بابا الفاتيكان في القاهرة/ اتفاقية قبول المعمودية 35
رياح التغيير التي عصفت برجال الحرس القديم 41
متى المسكين يظهر في حفل كنسي قبل أيام من الحادث 49
متى المسكين والبابا شنودة صراع القطبين 53
في مسرح الجريمة 61
الأنبا إبيفانيوس.. الأسقف المغدور 73
الجريمة 79
الجنازة الحارة 81
قرارت البابا الغاضبة 85
الأديرة غير المعترف بها.. النصب المقدس 95
دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان.. شوكة بلعتها الكنيسة 99
دير الأنبا كاراس بالنطرون.. شوكة أخرى جديدة 111
عِزب الأساقفة وموالدهم 121

تجريد إشعياء المقاري..125
من أوراق التحقيقات...129
فلتاؤس المقاري.. المتهم الثاني.................................133
البابا تواضروس يغضب مجددًا....................................139
الصائد في الماء العكر.. الأنبا أغاثون..........................143
البابا شنودة يطل من قبره...147
حرب المستندات الكنسية..153
زينون المقاري.. وفاة غامضة أخرى.............................157
في أربعين الأنبا إبيفانيوس...163
هدنة مع الدير..165
الأقباط.. كارت سياسي...173
مؤامرة عزل البابا عن منصبه.....................................179
إعدام الراهبين وضلالات السوشيال ميديا 185
دفتر الدم والرماد...191
- حادث سقوط الطائرة المصرية القادمة من باريس.....195
- البطرسية 203
- مارجرجس طنطا..218
- أمام مستشفى مغاغا.. موت لا يستحى 223

المؤلفة في سطور

سـارة عـلام

- من مواليد 1989.
- خريجة كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2010.
- تدرس الماجستير بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.
- تعمل صحفية في جريدة اليوم السابع.
- صدر لها ديوان "دون أثر لقبلة"، دار العين للنشر، 2013.
- صدر لها ديوان "تفكُّ أزرارَ الوحدة"، دار العين للنشر، 2015.
- صدر لها ديوان "آثار جانبية للوردة"، دار العين للنشر، 2018.
- شاركت في مهرجانات شعر محلية ودولية في تونس والمغرب والعراق والولايات المتحدة الأمريكية والبحرين.
- تُرجمت قصائدها إلى الإنجليزية ونُشرت في انطولوجيا كلية بريدج ووتر الأمريكية.
- حصلت على المركز الأول في جائزة مادلين لامونت للقصة القصيرة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، مارس 2019.

البريد الإلكتروني:

S.allam@youm7.com

تقرأ وكأنك تعيش الاحداث، وتنتهى من صفحات الكتاب وكأنك تسترد إنسانيتك التى مزقتها واربكتها وقائع "مقتل الأنبا إبيفانيوس" تتحول صفحات وسطور الكتاب إلى وثيقة تشبه "خيط السبحة" التى تجمع حبات متفرقة تتضح من خلالها أبعاد الحكاية المأساة، لتكتشف أن دماء الأسقف سُفكت لتكشف واقعًا يستصرخ الكنيسة أن تعيد قراءته وترده إلى أصوله الآبائية والإنجيلية.

المفكر القبطى كمال زاخر

في هذا الكتاب اللافت تحقيق تراجيدي إن جاز التوصيف.. قدّمت فيه الدراما نفسها بأفضل شكل على خشبة مسرح شائك اسمه الشأن القبطي.. بسردٍ آسر غذته الدقة المعلوماتية والأمانة المهنية والاطلاع العميق على قضية يظل المسكوت عنه فيها أكبر بكثير من المعلن.. تحقيق جريء يزرع وردة الحقيقة في حقل ألغامٍ تسوده الأكاذيب.

طارق إمام

كتاب مهم في توقيت مهم، ويفتح أبوابًا موصدة كثيرة، والأهم أنه كُتب بوعي مزدوج، بوعي الصحفية المجتهدة، وبوعي الشاعرة، ووعي ناضج جدا بمهمة الإعلامي ودوره.

دكتور حاتم حافظ

سارة علام

شـاعـرة، وصحفيـة متخصصة في الملف القبطي، تدرس الماجستير بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وصدر لها ثلاثة دواوين شعرية من قبل عن دار العين للنشر، وشاركت في العديد من مهرجانات الشعر المحلية والدولية بالولايات المتحدة وتونس والمغرب والبحرين.

غلاف: حسن الحلوجي

دار العين للنشر
Elain Publishing House

9 789774 905346